بتوقيت عزرائيل

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: بتوقيت عزرائيل

اسم المؤلف: عماد رشدي

التدقيق اللغوي: منى الضايع

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٢٠٧١ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٣٣٤-١-٢




ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

بتوقيت عزرائيل





إِهْدَاء

في صبايّ كان يرهبني بكاءَ الأطفالِ رُغم أني وقتها كُنت كثيرَ البكاءِ..

كنت أحسبُ أنَّ بكائي مختلفٌ؛ نوعٌ من التمردِ، وبكاءَ الأطفالِ نوعٌ من الاستسلام.

في الكِبرِ عرفتُ أنِّي على حقٍّ، تأكدت أنَّهُ يختلف.. حرارته عند الخسارة تختلف عند الفوز، سكون الدمعة في العينِ -تأبى ألّا تسقطُ- عند العزمِ والإصرار تختلف عندما تنهمرُ كشلالٍ عند الشعورِ بالخيبةِ.

هذه الملاحظة البسيطة كانت مقدمةً لإهدائي إلى الساعِ نحو الغد، رُغم كلّ ما يدفعُهُ للخلفِ.

إلى من تحمَّل قسوةَ الحياةِ، ولم يرفعْ الرايةَ مطلقًا رُغم خلو ساحة المعركةِ.

للقابع في زاويةِ الغرفةِ المظلمة دافنًا رأسَه بين ركبتيه.. ينتظر اللحظةَ التي سوف يرفعُ فيها رأسه للأعلى، ويرتكزُ على يديهِ وينهضُ ليقاوم كلَّ ذلك محاولًا الحدّ من سخافاتِ الحياة.

يا صديقي، الحياةُ رحلةٌ.. آمن بالغدِ ولا تستسلم للحاضر.

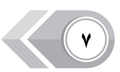
تنويه

قمت بترك مهمة الكشف عن حقيقة أحداث الرواية للقارئ، يبحث عن بعض الأسماء في الكُتب وعلى الشبكة العنكبوتية ليتأكد مما تم ذكره والإشارة إليه.. واعذرني على إخفاء هوية بعض الأسماء وجعلها بأسماء أخرى، مع ذلك تركت لك أسماء هي حقيقة بعينها ويمكنك البحث وتقفي أثرها.

كما أن جميع الأشخاص الذي كُتبوا (ر. ن) و(م.ع) هم أشخاص حقيقيون ليس في مقدرتي الإفصاح عن هويتهم الحقيقة لكونهم رجال دين وسياسيين ورياضيين ورجال أعمال مشهورين. وأيضًا تقع بعض الأسماء على نفس وزن وقافية الاسم الحقيقي مثل (أحمد عبد العظيم) حقيقي.. وعلى نفس الوزن (أحمد عبد الحليم).. هذا مجرد مثال لا يُعتد بهِ.

عليك بالبحث.. وإلى روح المفقودين واقعيًا، المبعوثين على وريقات الرواية.. السلام.

أخيرًا..



جميع شخصيات الرواية حقيقة مع تغيير طفيف في أشغالهم وأسمائهم للتستر على هوية البعض، لاحتمال الاطلاع عليهم بواسطة قارئ يربط الأحداث ببعضها طالما أن بعض الوقائع والأحداث وردت في الصُحف والمجالات.

المصادفات تلاعب روحاني.

- جي كيه شسترتون كاتب إنجليزي

الفصل الأول

على الأريكة تسترخي نجلاء بظهرها، رأسها مرمي لليمين وكفّ يُحيل رأسها على الميل أكثر من اللازم. تضع ساقًا على الأخرى أمام هاشم المنتصب واجمًا بطوله شابكًا يديه وراء ظهره، وكُره الانتظار يغزو معالم وجهه.

اعتدل هاشم بمجرد لطم جرس المنزل أذنه قبل أن تستعيد نجلاء جلستها وتركض بخطواط سريعة خلف هاشم الذي سمح لصوت صراصير الليل بالزيارة قبل القادمين كأن الباب يقع خلفه عالمًا آخر:

- أهلًا وسهلًا.

قالها هاشم مادًا لامرأة ترتدي نظارة لضعف بصرها، خلافَ فُستان أحمر يتدلى من رقبتها -التي تلّتف حولها عقد أبيض- حتى أَسفل ركبتيها بقليل، ولها حاجبان منمقان ينتهيان عند رأس منخار رفيع مُدبب ذي فتحتين متوسطتين ترقدان بجانب نحت علامتين يحدان خدها المرتفع عن باقي الوَجْه، أما الرَّجُل يرتدي عوينات دائرية كبيرة تسكن تحتها عيون ضيقة مُستذئبة يظن المَرء في بادئ

الأمر أنهما لا يحدقان فيه لولا حديث الحسيني وجهًا لوجه، كان وجهه يُشبه المخروط، تنفرج منه أذنان كبيرتان، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، ومُقدمة رأسه من فوق الحاجبين إلى منبت شعره القصير - الذي يصل لنصف الرأس- عريضة.

وقف السيد الحسيني الفلكي بعد أمتار رافعًا رأسه مُتفقدًا سقف المنزل بجسد مهتز هزيل، ورأس تدور في جميع الاتجاهات كالأفاعي مُتجاهلًا كم الـ(أهلًا وسهلًا) الصادرة من هاشم قبل أن يقول جملته كاملة بلا انقطاع كأنه يحسم أمرًا ما بدون جِدال:

- لا لا هنا مينفعش.

رد هاشم على عُجَالة:

- لا.. اتفضلوا جوه.. اتفضل.

تحرك في ممر وهو يُكرر:

- اتفضلوا

وصلوا جميعًا للغرفة، وكان في مقدمتهم هاشم الذي ظل يُرّدِّد:

- اتفضل يا أستاذ.

ويتابع مع إشارة بيده توحي بإذن الدخول للغرفة:

- اتفضلي يا هانـ

قاطعه السيد الحسيني:

- عايزين ورق أبيض..

- حاضر.

انصرف هاشم إلى إحدى الغرف الأخرى وجلب ورقا أبيض كما طلب السيد الحسيني. عند عودته كان الجميع يجلس حول طاولة يستقر عليها شمعدان يحمل ثلاث شمعات يخرج منهم بصيص من دِخان أسود يشبه الفتيل تَبَدَّدَ في الهواء بعد سنتيمترات من صعوده لأعلى، ويرقص لهيبهم في أرجاء الغرفة التي لَمْ يضربها ضوء المصباح المُعلق في السقف. حول المِنْضَدة أربعة كراس خشبية جلس عليها الجميع بما فيهم هاشم المَنضم للغَرفة معً العهدة المطلوبة.

ساد صمت ثقيل جثا فوق صدور الجالسين عدا سيد الحسيني الذي بدأ يردد (العزيمة البرهاتية) فاكفهرت وجوه الحاضرين وزادت علامات الجزع على وجوههم إثر كلمات وقع صداها غريبًا، بينما أرخت المرأة جبهتها على ظهر يديها الساكنتان فوق بعضهما على الطاولة أثناء تَردِيد الحسيني للعزيمة:

- فليقٌ فليقٌ أنيقٌ أنيقٌ.. حريص بليقٌ بليقٌ.. انزلوا حتى يراكم الناظر بعينه ويكلمكم بلسانه ويسألكم عن حوائجه فهو محيط بكم

أينما تكونوا تأتوني مسرعين مسرعين مسرعين بحق برهتيل برهتيل كريْر كريْر طبار طبار بهجشن بهجشن طوطار طوطار الوحي الوحي العجل العجل الساعة الساعة.

فجأة، وعندما لفظ السيد الحسيني أخر كلمة اندلعت نيران بقوة باتجاه السقف من الشموع، فانتفض على أثرها جسد هاشم ونجلاء اللذان ظلا يحدقان بعيون مُتسعة ويتلفتا بفزع ورهبة مما حدث، وما لبث أن اندلعت النيران حتى هدأت مرة أخرى وعادت لسابق عهدها، ثم سأل السيد الحسيني الفلكي بنظرته الحادة الثاقبة للفراغ:

- مين موجود معانا.... ولد ولا بنت؟! ست ولا راجل؟!

اعتدلت المرأة ومالت برأسها لأقصى درجة للخلف ببطء شديد وابتسامة خفيفة، استقرت عند حد معين ثم استنشقت نفسًا بعمق، نزلت برأسها مرة أخرى للأمام تحت نظرات هاشم المُندهشة المُتسائلة، وبقلم خطت على الورق الأبيض كلام ترجمه السيد الحسيني الفلكي عندما قرأهُ للحاضرين:

- طفل، ولد...

ثم سأل:

- عندك كام سنة؟

كتبت المرأة على الورق، وترجم السيد الحسيني الفلكي قائلًا:

- ٧ سنين.

ثم وَجَها السيد الحسيني الفلكي سؤالًا آخر:

- اسمك إيه؟

كتبت المرأة على الورق الأبيض، وقال السيد الحسيني الفلكي بعدما ألقى نظرة فيه:

- جمال.

استكمل:

- عايز إيه من البيت ده؟!

وقبل أن تكتب المرأة على الورقة أردف السيد الحسيني الفلكي سؤالًا يُضاف للآخر:

- أنت موت إزاي يا جمال!

كتبت المرأة على الورق الأبيض، وقال السيد الحسيني الفلكي بعدما قرأ:

- مقتول.

وتابع السيد سائلًا:

- وعايز مين هنا؟

كتبت المرأة، ثم قرأ السيد الحسيني الفلكي ما كُتب على الورق الأبيض وقال ليبلغ الحاضرين:

- الدكتور هاشم.

اتسعت عين الدكتور هاشم قليلًا، وتفغر فاهه دهشة، فيما عاود السيد ما بدأه:

- ليه؟!

- هو الوحيد اللي يحس بمعنى موت طفل، لأنه بنته ماتت مقتولة زي أختي..

- طب عايز منه إيه؟

قرأ السيد الحسيني الفلكي ما كُتب على الورقة ووَجه لنجلاء وهاشم الحديث:

- عايز يمشي.

ثم نظر للفراغ وأردف:

- لازم تقول قبل ما تمشي.

وفي ظل تكرار جملة (لازم تقول قبل ما تمشي) للمرة الثانية

اهتزت الشموع بقوة قبل أن تسقط على الطاولة فلحق السيد الحسيني الفلكي الأمر وردَّد:

- حاضر يا جمال.. حاضر يا جمال.. انصرفوا من هذا المكان من حيث ما جئتم.. انصرفوا.. انصرفوا.

فجأة، صدح صوت عالٍ قائلًا بقوة:

- cuuuut هاااايل يا جمااعة.

ودويَّ تصفيق حار في اللوكيشن، اقترب المخرج ياسين إسماعيل ياسين من عزت العلايلي القائم بدور الدكتور هاشم وقال:

- ممتاز..

ثم أكمل السير إلى السيد الحسيني الفلكي وقال بودٍّ:

- شكرًا جزيلًا يا أستاذ سيد علي قدرتك إنك تخرج المشهد بصورة أقرب للحقيقة.

- العفو على إيه يا أستاذ ياسين..

ثم تغيّرت ملامح المخرج ياسين إسماعيل ياسين وقال بعجب وهو يحاول أن يلوي شعيرات شنبه الخشن الغزير:

- بس الكلام اللي أنتَ قولته بتاع العزيمة ده مش زي ما اتفقنا عليه!

رفع السيد الحسيني الفلكي خده للأعلى دلالة على ابتسامة سمجة وقال:

- متقلقش يا أستاذ ياسين العزيمة مش حقيقة دي مجرد كلام تاني أنا ألفته غير العزيمة الأصلية... وقولت ماحرفش الكلام كله عشان يكون في حس الغموض والحقيقة بردو.

ربت ياسين إسماعيل ياسين على كتفه وهو يقول:

- عفارم عليك..

- ومضيا بجوار بعضهما وتبادلا الحديث:

- عملت إيه مع الفنان (ف. ع) في مشكلته؟

قالها ياسين إسماعيل ياسين فأجاب الحسيني:

- هيحلوهاله.

تسمَّر ياسين إسماعيل ياسين في مكانه وتغضَّن وَجْهه فيما أردف السيد الحسيني الفلكي:

- هستأذن أنا يا أستاذ ياسين.

قالها.. ورَحل.

الكاتب:

(«عاد لينتقم» فيلم مصري صدر سنة ١٩٨٨ بطولة الفنان عزت العلايلي وإخراج ياسين إسماعيل ياسين، تم منع عرض الفيلم بعد اكتشاف سر خطير أدخل السحر داخل كل منزل فتح شاشاته لمشاهدة الفيلم.. في وقت تحضير الفيلم استعان المخرج ياسين إسماعيل ياسين بأشهر السحرة آنذاك وهو السيد الحسيني الفلكي لكي يصبغ مشاهد الرعب بأسلوب مبتكر ومختلف وحقيقي، فألقى الحسيني العزيمة البرهاتية دون أن يحرف ولا يحذف منها حرفًا كما كان متفقًا عليه بين المخرج والساحر ومعروف أنها من أقوى عزائم السحر للجن. فأدخل السحر في كل منزل وهو ما تم كشفه بعد صدور الفيلم بسنوات.. هذه العزيمة هي تلك التي قرأتها على لسانك في الفصل الأول).

الفصل الثاني

ووقفت السكرتيرة أمام باب الغرفة، بينها وبين الباب خطوة، تضع بين إبطها أوراقا كثيرة، وتحمل ملفًا ضخماً في اليد الأخرى. فكت زرار ثالثا من قميصها جعلت جزءًا من جسدها يتَّضح، وحركت طرفي الميكروجيب ليسقط سنتيمترات قليلة. استنشقت نفسًا بعمق، ثم قرعت الباب:

- اتفضل.

دلفت السكرتيرة صُبح محمد عبد الكريم من الباب، وقفت أمام مكتب عريض، مموَّج اللون ما بين البني والأسود ومصنوع من خشب السبستان الفاخر، عليه قطعة رُخامية نُحتَ عليها (رشيد الجارحي).

انحنت صُبح محمد عبد الكريم لتضع الملف على المكتب :

- دا الملف اللي حضرتك طلبته.

تلصص رشيد الخارجي على المَكشوف، ثم أخرج منديلًا ورقيًّا جَفَّفَ بِهِ حبيبات عرض ظهرت على جبينه، مَرَّرَ عينيه بين الورق،

ثم قال بعد ثوان بنفس أوشك على الانقطاع:

- متشكر يا صُبح..

- تحت أمرك يا فندم.

اعتدلت بعد أن تحدثت ثم أردفت:

- تحت أطلبلك فطار أو تشرب أي حاجة؟

حرك رأسه بعلامة النفي وهو يقول:

- مليش نفس.

تحركت صُبح محمد عبد الكريم ببطء لتغادر، وقبل أن تختفي عن عينيه دارت وهي تقول:

- متنساش ميعاد غسل الكِلية يا جارحي بيه..

هزَّ الجارحي رأسه بعلامة الإيجاب، شرد فيها للحظات، قبل أن يلطم لحاء مخّه جرس الهاتف المحمول. التقط الهاتف، لمح الاسم، فرمى بهِ على المكتب، وقال في غياهب ذهنه، ماذا تظن نفسها شاهيناز بعد طلوع الصُبح عليه؟ قال هذا رغم زواج دام سنوات، وعِشرة قاربت الاثنتي عشرة سنة من شاهيناز تجعدت فيهم ملامح وجهه في الفترة بين الزواج إلى الآن، وتزينت لحيته السوداء المُنمَّقة بخصُلات بيضاء.

كان شابا لا تذخر خزينة الأموال ولا الحساب البنكي الخاص بهِ بأموال تُذكر إلَّا أن كثرة المشاكل الواقعة بينهما جعلت متعة حياتهما على الأسرة، خِلاف ذلك طلب طلاق بين الحين والآخر أو شكوى عابرة لأبيها قبل أن يتوفى، بعد موت والدتها بشهور تنتهي بـ(أنتِ اللي أصرِيتي عليه يا شاهيناز.. اتحملي قرارك). هذا في البداية قبل أن تصبح الحياة بينهما متوقفة على موت أحدهما وخاصةً بعد سقوط شاهيناز في أول حملها واحتمالية عدم إنجابها مطلقًا. رغم أن شاهيناز استعانت كعادتها بكُل الأعمال المشروعة وغير المشروعة. غير زيارة الدجالين للمنزل على فترَات متقاربة تحت أعين زوجها الراضخ على مضض.

رشيد الجارحي لا يُنكر فضل شاهيناز ابنة رجُل الأعمال أسعد بطيشة الذي اشتهر بتجارة الأخشاب في مصر والوطن العربي. كانت في البداية عند الزواج، مصدر دعم مالي حقق خلاله رشيد الجارحي اسماً في الأوساط وأصبح يتردد صدى مؤسسة الجارحي للاستيراد والتصدير في الوطن العربي، لكن عقارب حياتهم توقفت لاكتشاف شاهيناز نزوات رشيد الجارحي وسهره في البارات ولياليه الحمراء.

قطع خيط أفكار رشيد الجارحي قرع على الباب، نظر ناحيته وقال بعدما رأى حمزة:

- قولي أخبارك اللي شبهك.

قهقه حمزة وهو يقول:

- مفيش يا سعادة البيه.

وقف رشيد الجارحي مُنتصبًا فظهر عليه الطول أكثر من القصر، تحرك حتى اقترب من خزانة فخمة أخرج منها علبة لا تقل فخامة، استل سيجارا منها وقام بإشعالها بقداحة سمراء، ثم قال أثناء نفس عميق مِنْ السيجار:

- لسَّه بردو مالقيتش حد؟

- بدور.

تأمل رشيد الجارحي لهب نيران القداحة وهو يقول:

- بقالك كتير.

تَنَحْنَحَ حمزة:

- الحكاية مش سهلة يا جارحي بيـ..

قاطعه:

- لا.. سهلة.. كل حاجة سهلة بالفلوس.. أنت ناسي أنتَ جيتلي إزاي!

صمت لثوانٍ قبل أن يعاود:

- بس أنا مبيشتغلش معايا رجالة تعرف تخلصلي حواراتي.. لازم أنا أشتغل بإيدي.

لَمْ يجد حمزة إِلَّا التَّحَرُّجَ من تَحَايُلِه فقال بتقطع:

- يا رشيد بيه الموضوع مش سهل زي ما حضرتك فاهم.. ورغم كدا أنا مش ساكت.. ولا الناس اللي معايا ساكتة.. الموضوع إن محدش هيفرط في عضو من جسمه حتى لو المقابل كبير.. بس أوعدك هنلاقي.

- قولنا كل حاجة سهلة بالفلوس.

قالها رشيد الجارحي ثم حدَّقَ بصرامة في عين حمزة وأردف:

- عايز تكون دي آخر مرة أغسل فيها كلى تاني.. أنا مابقيتش مستحمل لا ألم ولا فقدان الشهيَة.. يا أخي دنا معنتش بطرطر زي الأول... اتسد خلاص..

كتم حمزة ضحكة كانت على مشارف الانطلاق وهزَّ رأسه مُطاوعًا:

- حاضر يا رشيد بيه.

لفهم الصَّمْت للحظات قبل أن يقطعه حمزة قائلًا:

- معاد حضرتك في الغسيل امتى؟

طمس رشيد الجارحي السيجار في المنفضة وقال:

- حالًا.. يلا بينا دلوقتي.

الفصل الثالث

١٢:١٢ القمر في برج الحوت.

دنو رمز ال (.....) من كوكب الأرض، الجميع يقدّس النقطة المصفرّة اللامعة التي تظهر في سماء الليل.. منك. قدّسك القُدماء، سموا أنفسهم تيمونًا بك، ومُثّلْت عند الرومان للإله ساترون إله الزراعة والحصاد.

سهولة رؤيتك تتوهج في السماء كملك متوج أجبرت القدماء على الانبهار بك.

يا زُحل..

يا مُنافس المُشترى على السيادة حجمًا..

وضربت الفضاء عن الشمس بُعدًا..

موعد اقترابك من الأرض يُمثل صفعة على العالم، تنبوءات بكوارث طبيعية؛ زلازل سترُج الأرض رجًا، براكين تُطلق حَمَّمها وتنشر نيرانها كتناثر الغُبَار. فيضانات ستسحق سدودا وتُغرق قُرى وتتسبب في مجاعات، وقوع وتحطم طائرات، غرق سُفن، حوادث

حريق وظهور أمراض يعجز الطب عن فك شيفرتِها، هذا فقط.. بسبب قربك.

انتزعني صوت رنّان نفذ إلى عقلي ونقض خلوتي، كان لناقوس كنيسة تقع بالقرب من المنزل، نظرت للساعة المُعلقة على الحائط فضربت الشمي عينيّ عبر فتحات خشب الأرابيسك الدائرية، ولمعت صورة قد أكلها الزمن، وترهلت أطرافها لأستاذي القدير الروحاني عبد الفتاح الطوخي بشاربه الخشن القصير الذي يشبه لحد كبير شارب هتلر، وعويناته المُستقرة فوق أذنه الكبيرة. هو أستاذي، صاحب معهد الطوخي لتعليم الروحانيات وعلم الفلك، في الحقيقة كانت علوم الفلك مُجرد غطاء أمام العامة عكس ما يدور بالداخل.

تتلمذت على يده قبل أن يتم تأميم المعهد من قِبل الدولة، لتنمو بذرة التفرق بين الجميع ويغادر أستاذي البلاد.

بجانب الصورة تقع مؤلفاتي المُجلدة تجليدًا متينًا على رفوف من خشب الأرابيسك العتيق:

وجميعهم يحملون اسمي (السيد الحسيني الفلكي) عدا كتاب واحد في طريقي للانتهاء منه. رَنَّ الهاتف فلم أرد. أمسكت الهاتف بعد انتهاء فاصل الرن، تجاهلت مَنْ المُتصل، وعرفت - رغم

عدم رؤيتي للاسم- أن المتصلة شاهيناز.. هُم أخبروني، أحدهم وسوس في أذني أو ربما مجرد شعور.

قاومت جلستي ووقفت، تركت سبحتي المصنوعة من حجر كريم نادر قديم ورثته من جدي الذي اشتراها من حي الجمالية داخل سراديب الحسين الصغيرة والحواري المنزوية التي تقع خلف الجامع. على مسمار مدبب مضروب في بقعة خشبية غليظة وضعتها، ارتديت ملابسي وأخذت حقيبتي الجلد بين إبطي، نزلت درج السلم حتى السَّيَّارة، أمسكت الهاتف وطلبت شاهيناز، فردَّت في الحال:

- إزيك يا أستاذ سيد؟

أستاذ.. كلمة أحب سماعها بدلًا من شيخ أو مولانا:

- بخير يا شاهيناز.

- أنت..

قاطعتُها:

- في الطريق.

- طب سيني أكمل الجملة!

- في الغالب في ناس كتير بتتوقع صح.. لعبة التوقع خلت كتير

يكونوا فلكيين.. خلينا نتكلم في المهم..

- معاك.

- الأوضة اللي هنكون فيها محدش يخشها لغاية ما أوصل.

- حاضر.

- مع السلامة.

أغلقت الخط قبل أن أسمع صدى الكلمة من فمها. حين وصلت رمقني ذلك الجارحي باشمئزاز، سلم عليّ جبرًا، ثم نحى وجهه.

ستأتي لي مرة رغمًا عنك.. مثلك مثل الرياضيين والساسة ورجال الأعمال المنضمين لي، ستكون مثلهم سأضمك لقائمتي في وأكتب اسمك (ر. الـ) حفاظًا على هويتك وسمعتك الشخصية.

الكاتب:

(شهرة السيد الحسيني وقعت منذ أن ارتبط اسمه في الأوساط الراقية، فأصبح يتردد على الفنانين والرياضيين.. إلخ، وجميع الأسماء التي يتم كتابتها على هذا المنوال (ت. س) هي أسماء لمشاهير لا يسعني ذكر أسمائهم).

دخلت الغرفة المُغلقة، جلست على الكرسي، أشعلت شمعدانا ووضعته على المائدة ، وبدأت في صرف العمار عن المنزل عن طريق بعد الكلمات:

ضرب ضباب جزء من الغرفة وارتجت صور مُعلقة على الحوائط منها ما سقط وتهشم، ومنها ما صمد كصور خُطت بها آيات من القرآن، هذا حدث عند الاقتراب من وسط قراءة باب صرف العمار (صنف من الجن) يسكنون بيوت الآدميين حتى إن ما بيت إلَّا وجعل الله في سقفه عمارا من الجان يأكلون ما يتبقى من طعام بني آدم، وهم موكلين للدفاع عن البشر من تسلط الجن الماردين والشياطين، فالعمار في بيوت البشر لو لم يوجد لوقعت البيوت تحت سلطة المعتدين من الجن والشياطين. كما أن قراءة العزائم لا تتم إلا عند صرفهم.

قمت وأخذت بخورا قمت بإعداده مسبقًا عن طريق كسبرة ولبان ذكر ومستكة تركي، وأكملت وأنا أغرق الغرفة بضباب البخور.

تماكت شاهيناز نفسها أمامي رغم ما يحدث وحين انتهيت أغمضت عينيّ وقلتُ:

- كدا مفيش.

ظهر على حلق شاهيناز ابتلاع ريقها فقالت:

- تفتكر هخلف؟!

- دي مش عشان الخلفة!

أطلقت لسانها مترين:

- أمال إيه؟!

- العمار انصرف.

- دول مين؟!

- بدون الدخول في تفاصيل بوجودهم مكناش هنقدر نكمل باقي الشغل.

قلت، وجلستُ لأعد عدتي وأكمل لعلها تنجب، وهي تجهل أن كل شيء بيد الله.

***

صَوت طرق الحذاء على البلاط المحدَّب كان كمجس يعمل على كشف الحالة المحيطية الفيزيائية؛ فكان جديرًا بمعرفة مكان رشيد الجارحي في الفيلَّا، واقفًا متأملًا البيت الذي اختار كل أركانه، والجدارية الخاصة الذي استعان برسامين أكفاء لرسمها، كانت جدارية المرأة صاحبة المظلة - ١٨٧٥م، لرائد المدرسة الانطباعية أو

التأثرية في الرسم كلود مونيه؛ لمرأة تقف في الواجهة، ترتدي فستانا مُجعدا أبيضا، وتحمل شمسية خضراء تطبع ظلها على حشائش خضراء، أما خلف المرأة يقف طفل يغلف رأسه بقبعة صفراء.

خرجت شاهيناز من غرفة توجد تحت سلم موجود بالباحة الواسعة في الفيلَّا تفضي لدور ثانٍ توجد بهِ غرفتان وممر. الغرفة تفوح منها رائحة بخور ملأت الهواءَ، مُحَمَّلة بروائح غريبة وعتيقة، تسللت حتى وقفت بالقرب منهُ، بينما انتزع وقوفها انتباه رشيد الجارحي في تأمله للجدارية، وحاول مخ شخص بالغ يزن ١٣٠٠ ج أن يستوعب ما تفعله.

ابتسم رشيد الجارحي بسخرية وقال:

- مخك اتلحس يا شاهيناز خلاص..

ارتسمت ابتسامة على وجه شاهيناز قبل أن تقهقه:

- من العِيشة معاك.

ثم تحول وجهها وبدت عليه خيبة الأمل وأردفت:

- العِيشة معاك فعلًا لحست مخي.

هزَّ الجارحي رأسه بسخرية وهو يقول:

- يا ست هانـ..

قاطعته:

- ما تطلقني.. ولا أنتَ خايف؟

- هخاف من إيه؟

- كان من بابا قبل ما يموت، فدلوقتي متخافش محدش هيدهسك ويرجعك زي ما كنت.

قطع حديثهم خادمة تحمل شريط برشام وكأس ماء وهي توجه الحديث لرشيد الجارحي:

- معاد العلاج يا فندم.

طَوح رشيد الجارحي الكأس، وقع قطعًا متناثرة على الأرض، فارتدت الخادمة للخلف، وصرخ رشيد الجارحي في وَجْه شاهيناز:

- مشوفش مخابيل في بيتي تاني..!

ثم انحنى وسند على الكرسي، أمسك موضع ألم الكلى، توجع فأسرعت شاهيناز بتلقائية إلى زوجها، وبرشاقة عداءة أولمبية تخطت الحواجز كانت تحاول إسناده وتقول:

- معاد غسل الكلى كان النهارده! روحت؟

تألم ثم قال:

- أيوه غسلت... ولسَّه جاي..

ساعدته على الجلوس:

- طب استريح.

فيما سبَّت شاهيناز ذهول الخادمة بصرخة:

- بسرعة هاتي دوا غير اللي وَقع!

بسرعة تخطت اقتراب زحل من الأرض جلبت كأس ماء آخر ودواء، أخذه رشيد الجارحي واسترخى بظهره للوراء وهو يغمض عينيه قبل أن يختفي آخر وميض يأتي من المصباح:

- بالشفا يا حبيبي.

في المنزل، ليلًا، بعد إفاقة من نوم وإرهاق دام لسويعات، كان رشيد الجارحي مسترخيًا في الحديقة الخارجية، يحتسي فنجان قهوة يزيح الصُداع، ويستحلب سيجارة بين شتفيه بِنَهم وهو يتصفح أخبار جرائد اليوم عبر عوينات خاصة للقراءة، وقتها دلف حمزة من باب الفيلَّا حتى اقترب من رشيد الجارحي الذي تجاهل وجوده، وأومأ برأسه سلامًا وهو يقول:

- لقيت حل.

جلس، فأعطاه رشيد الجارحي اهتمامًا، بينما أردف حمزة:

- مش ناقص غير دكتور شـ.

بترَت شاهيناز عندما جاءت كلام حمزة، جلست بجانب زوجها ووضعت ساقًا على الأخرى، فتبادل حمزة نظرَات بين شاهيناز والجارحي الذي أومأ دلالة على المواصلة.

ظل حمزة صامتا للحظات قبل أن يستكمل:

- دكتور شاطر هيخلص كل الحكاية.

خلع رشيد الجارحي العوينات وترك الجريدة على المنضدة وهو يقول:

- وضح.

نظر لشاهيناز والتزم الصمت للحظات، ثم قال:

- يعني أتكلم عادي؟

قالت شاهيناز في تحدٍ:

- مش عاجباك قعدتي ولا إيه يا حمزة؟!

امتقع وجه حمزة، وتمتم بصوت خافت:

- لا يا ست الكل، مقصدش أص..

تدخل رشيد الجارحي:

- قول اللي عندك.

- عندنا حلين..

قال رشيد الجارحي:

- أولهم؟

أجاب حمزة:

- كلية واحد ميت ودي عمرها قصير.

استفسرت شاهيناز:

- والتاني؟

اعتدل حمزة مُصوبًا نظره في عين شاهيناز وهو يقول:

- كلية واحد حي، ودي عمرها أطول ضعفين من كلية واحد ميت، وبما إن سعرها عالي اليومين دول، وكمان مش متوفرة، فمفيش قدامنا غير حل.

ضيق رشيد عينيه.

- بالعافية..

قال رشيد:

- إزاي؟

- أنا توصلت إن العافية ساعات ممكن تكون أسهل من طريقة الفلوس، غير إن سوق بيع الأعضاء شبه منتهي بسبب تشديدات حقوق الإنسان ووزارة الصحي والحكومة، ودا أدى لارتفاع سعرها وقلة تواجد البايع..

سَحب الجارحي نفسًا طويلًا في سقف فمه من الداخل، وقال بعد انقطاع الشَّخرة:

- وتوصلت! أدى لارتفاع! قلة تواجد البايع! أنت اشتغلت عالم؟ أو وزير؟ وبعدين فين الحل في اللي أنت بتقوله؟!

حاول حمزة الحد من غضبه، فيما عنفه رشيد الجارحي قائلًا بصوت عالٍ:

- ما توضح كلامك!

- حاضر.. حاضر.. اهدا بس يا رشيد بيه.

تدخلت شاهيناز:

- البيه كان تعبان من ساعات.. قول اللي عندك من غير طولة روح.

ألْقَا حمزة كلامه الذي تحول لحيَّة تسعى:

- هنشوف كلية ما يرفضهاش جسمك، وهنخطف حد،

سرنجة تخليه يغيب عن الوعي ساعَات نكون إحنا خلصنا كل حاجة، نرجعه مكان ما جه من غير ما حد يحس بحاجة ونكرمش شوية فكة في جيبه عشان لو طلع عنده أهل.

قال رشيد الجارحي:

- ولو جسمي رفض!

شدَّد حمزة على حديثه وهو يهز رأسه مؤكدًا:

- هيقبل.

- نفترض إنه مقبلش..

- تفاءلوا بالخير تجدوووه.. بس بردو ليك كل الحق.

قالها حمزة ثم أخرج حمزة صورة فوتوغرافية لوح بها في الهواء أمام أعين الجارحي واستطرد:

- رجالتك شايفين شغلهم يا جارحي بيه.. وعملوا الفحوصات اللازمة.. ناقص بس نفسحه للعيادة.

ترك حمزة الصورة في يد رشيد الجارحي الذي تأملها جيدًا:

اضطربت ملامح رشيد الجارحي، فيما هبت شاهيناز من مكانها وهي تقول:

- أعرف دكتور شاطر بيشتغل في الممنوعات..

قال رشيد الجارحي وهو ينظر لها:

- عرفتيه منين؟

ظهر عليها الارتباك وأجابت وهي تضع سيجارة بين أصابعها المرتعشة:

- دكتور كان بيعمل عمليات إجهاض لصحابي اللي في النادي..

خفف حمزة ارتباك شاهيناز عندما تدخل في الحديث مُجددًا فأزاح ثِقل الصَّمْت:

- كدا مش ناقص حاجة..

سكت، ثم واصل:

- غير إننا نعمل العمليتين.

اندهش رشيد الجارحي:

- عمليتين!

- أيوة.. عملية الخطف، وعملية الزرع عند الدكتور..

- حمزة!! مش عايز شوشوة.

ابتسم حمزة، وقال:

- متخافش يا جارحي بيه.. كل حاجة هتتم من غير أي شوشرة.

تحدث حمزة فانتزع شاهيناز من شرودها:

- إحنا يا ست هانم هنكون جاهزين.. أتمنى تعملي اتصالك بالدكتور ويفضي نفسه ويجهز حتى لو هندفع أكتر.. قوليله يفعل حكاية الحضور بأسبقية الحجز..

الفصل الرابع

اليوم التالي..

٥:١٥ فجرًا..

رغم اعتدال الجَوُّ غَطَّتْ قطرات الندى زجاج السيارة الKia موديل السنة، وكسا الضباب السَّمَاء، وامتلأ الطريق ببرك مياه انعكست صورة السماء فيها، وتجَمَّعَت على شكل دوائر صغيرة على أرض الطريق الضيق الذي لا يَسعْ سيارتين صغيرتي الحجم، وعراقيل الطريق المُتكسر بمطباته الموجودة كُلَّ ٥٠٠ متر توقظ أشرف المائِل برأسه للخلف وفاهه مفتوح كفتحة كهف ضخم حالك الظُلمة يُلقي بظلاله في الداخل من بعيد، أو فوهة بركان ثائر يخرج منه شخير مدوٍ كصوت قذيفة AP بقطر ١٢٢مم، ويونس الذي يُبدل وضع نومته من الحين للآخر مُتقلبًا ذات اليمين مرة، وذات الشمال أخرى.

بدَت السيارات حولهم كالأشباح في الطريق الطويل.. الرؤية صعبة، بل شبه مُنعدمة على عوينات أدهم الواسعة أو حتى على ثقب نظر زوجته ماجدة المُستقرة بجانبه بعينيها الناعستين!

عانى أدهم بسبب ضعف بصره وتحديدًا بمرض قصر النظر

فكانت وضعية الصورة مُستحيلة والأشياء البعيدة مشوشة غير واضحة المعالم وسط دموع الندى وحجب السُّحب للشمس مع طلوع الصُّبح على بداية طريق مصر - الإسكندرية الصحراوي.

تقليص العينين كان أهم شيء ساعد أدهم لرؤية الأشياء بوضوح رغم صعوبة الأمر.. أما عقله مشغول في التفكير بحجة تجعله يقضي يومًا كاملًا بعيدًا عن العائلة مع سُهاد الذي تعرف عليها مُنذ شهور عبر موقع للتواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، فاستعاد ذهنه صورتها التي أرسلتها لهُ، وفيها كانت تميل برأسها بحيث تجعل أذنها تُلاصِق مُقدمة كتفيها، أما وجهها فمُزين بمَساحيق تجميلٍ لا حصر لها، مُقابل صورة أرسلها أدهم بكرش ضخم في وضع مُخل لا يُناسب أبا بالغا يزن مائة وخمسة عشر كيلو جرام ويملك خمسة وأربعين عام. تركت سهاد وعد مُقابلة آنذاك، لذلك أصر على السفر إلى الإسكندرية هذا العام رغم اعتراض الأولاد والزوجة لكونهم قضوا إجازة العام الماضي فيها.

(المندرة - قبلي ١٨ شارع الزوهدي)

هذا ليس إل عنوانَ سُهاد، قدَّس أحرفه، كتبه على رق، وأرخ أحرفه على جُدران مسلة نحت عليها...

كان العنوان مكتوبًا على قصاصة بيضاء مطوية وضعها في جيب

سرواله بعدما مسح الChat الخاص بهما حتى لا تطلع ماجدة عليه وتقع الواقعة.

بعد فترة وتحديدًا عند الساعة الثامنة ظهرت الشمس، وغاب السحاب، فعادت الأمور لنصابها الصحيح وكانت مثابة السعادة لأدهم حتَّى يعبر المسافة المتبقية دون حادثة تُعركل مسيرتهم، وتلحق الضرر بأحدهم أو تجعل نظرة سُهاد فيه خائبة لو فات ميعاد المُقابلة في اليوم الثاني منذ وطئت قدماه ووجوده في الإسكندرية.

ساعتان مضيا ولم يتبقَّ غير مثلهم للوصول.

- ما تشغل أيّ حاجة يا أدهم بدل الزهق دا...

لَمْ يلتفت أدهم في المرة الأولى، ولَمْ تتلق ماجدة إجابة، فرفعت يديها تتلمَّس وتهزّ كتفه وهي تُعيد مرةً ثانية:

- أدهم.. أدهم.

تشتت ذهن أدهم، وذهب الوجوم عنه، تيقن أن الحديث موجه إلى شخصه، وظَن أن إحدى حواسها السادسة بدأت في توِّهَا للكشف عن السر الأعظم، هو لا يفقه معنى أن يكون السر حاضرًا بين يديها، وتغلي عروقه عندما تعلم أحداث يومه، سمع قديمًا أن هنالك حاسة عجيبة تُسمى (الجلاء البصري - الرؤية عن بعد) وهو ببساطة؛ رؤية الأشياء الخفيَّة عن كَثّب رغم عدم وجود

الشخص في المكان، فهل لماجدة قدرة تجعلهَا تصف حادث ما يقع في منطقة بعيدة عنها وهي تجلس تحيك الملابس؟!

هو أقرب تفسير للأشياء التي تعرفها عنه على الرغم من أنه يسعى جاهدًا في عدم ترك خيط وراءه يكشف سرا يريد التستر عليه.. علَّها لا تسمع المكالمة بينه وبين سُهاد، ففي تلك الحالة ستكون في وجهه نظره كائنا غير طبيعي يمتلك حاسة أخرى تُسمَّى (الجلاء السمعي - Clair - audience). الأكيد أنها كذلك.. كيف قرأت بال أدهم وما يدور في عقله حيث إنه قرر في ظل تفكيره بسُهاد أن يشغل المُسجل على أغنية تُزيل الوجوم الذي بدا عليه.

هزّ الأخير رأسه إيجابًا وردَّ بلسان يتلَعْثم:

- حاضر يا حبيبتي.

تفرَّستْ ماجدة في ملامحه بغرابة وهو يُثبت دريسكون السيارة بيد، ونزل بطرف عينيه للمُسجل، ضغط باليد الأخرى على رز التشغيل فسمع صوتا يَصْدَح زاعقًا عاليًا:

- حاسب يا أدهم حاااا...

كان صوت ماجدة قبل الارتطام.

***

في تمام الثامنة كان الدكتور طه حاضرًا أمام باب العمليات حسب اتفاق مسبق لعائلة مريض أقنعهم بمستشفى السلام التخصصي لإجراء عملية لازمة للمريض. وبعيدًا عن صلاحية المستشفى للجراحات الخطيرة كان الاتفاق المبرم بين الدكتور طه شرف الموجي والدكتور منصور السعودي المدير العام ومالك المستشفى بتحويل عيادة الدكتور - اللازم لهم إجراء عمليات - إلى المستشفى مقابل نسبة ١٥٪ من كامل تكلفة العملية، فأصبح دور الطبيب كمندوب مبيعات لشركة.

ورغم نجاح العمليات، وخروج معظم المرضى بشكل سليم ومعافي تمامًا، ينتظر الدكتور طه مُقابل أكبر من النسبة المتفق عليها مع مستشفى السلام.

فالمادة لرجل يُقدِّس الأموال هي قبلة الصلاة..

بإمكان الدكتور طه أن يكون ي مصاف أفضل أطباء في مصر، هذا بفضل التعليم في مدارس إنترناشونال منذ الصغر، وعقليته الفذة، والدكتوراة التي حصل عليها من جامعة ستانفورد - الولايات المتحدة الأمريكية التي تقبل ٧٪ فقط من إجمالي المتقدمين للدراسة فيها، لكن حرصه على العمل تحت السلم ليكون بعيدًا عن أعين اتحاد الأطباء وخوف الشهرة حتى لا يفتضح عمله الخفي

الذي يُعد مصدر الحساب البنكي الكبير، السيارة موديل السنة، وامتلاكه لقطع أراضٍ كثيرة، ومنزل يُستعمل لأغراض النجَّاسة لا تعلم زوجته الدكتورةً هند سعيد البنا، وولديين متزوجين. الأول في ستوكهولهم بالسويد متزوج ومستقر هناك، والآخر شاب مخمور دائمًا خيب ظن والده فيِّه.

كُلّ هذا جعله يضع حدًا لحرفيته حتى يعمل في الخفاء بلا أعيون تحدق بهِ.

- كل حاجة جاهزة يا دكتور.

قالتها الممرضة حين وصل الدكتور طه إلى المستشفى حسب الميعاد المتفق عليه. لَمْ تتلق منه كلمة شُكر، اكتفى بالنظر والمضي، وهذا معروف لكل العاملين خاصةً مع شخص مثله، كونه يملك عنْظزَةً ينفر منها الجميع، ويتكلم بأسلوب مُضحك حيث يغلب على نطقه الخَنف لإصابة بضيق في تجويب الأنف يجعله ينطق الأصوات الأنفيَّة كالمزكوم، ورغم الأسلوب المضحك في الكلام يخضع الجميع ويهابونه كثيرًا.. خاصةً أنه في الأصل شديد الغرور، ويظن أن نساء الدنيا يلهثن وراءه بسبب اصفرار شعره الناعم، وعينيه الزرقاوتين الماكرتين. وجسده المتناسق، وطوله الذي يتسم بالمثالية مع وزنه. مثال للجمال لولا قُبح أنفه وعادة غريبة تجعله

يحك مؤخرة رأسه دائمًا كل عدة ثوانٍ تقريبًا.

بدل الدكتور طه ملابسه، وفقد الذاكرة لدقائق حتى تذكر مراده بعد قوله (اللهم ذكرني ما نسيت، وعلمني ما جهلت) وهو عيبٌ ينفر هو نفسه منهُ، ففي أحيان كثيرة يُصيبه داء (فقدان الذاكرة أو النّسَاوة) فلا يتذكر معلومة أو مهارة أو خبرة مرَّ بها من قبل، وتلك كانت أشد خطر يواجهه في الدراسة، وعاملًا كبيرًا وضع حدا لحرفيته بجانب أنه لا يسعى لها.

وَضع كمامة فوق الجزء الأعلى من أنفه التي ترتفع قصبتها مَعَ استِواء أعْلاهَا. وارتدى قفازا أبيضا يميل للغمقان ناعم الملَمَس، ثم بدأ في تفقد الجوُّ المحيط قبل البدء في إجراء علمية. وعند الانتهاء طمأن أهل المريض بكلمة واحدة أخرجها من أنفه:

– نصف ساعة وهيفوق.

ومضى وهم يقولون:

– يقدر يمشي النهاردة يا دكتور؟

بعد التفات اكتفى بهز رأسه دلالة قولة (لا) وهو يُكمل مضَّيه.

ترك الدكتور طه الأهل في حيرة من أمرهم وغادر المستشفى، استقل سيَّارته الخاصة إلى المنزل، وجلس بجانب الأولاد دقائق

استمع فيهم إلى طلب حسام بمبلغ مالي وطلب فهد بدفع اشتراك النادي لانتهاء المدة، وافق بأريحية قبل أن يطير إلى السرير لأخذ قيلولة يستيقظ منها على عادة شُرب عصير البرتقال الذي يفضله، وغذاء يوم الأربعاء التي تُعده مخصوص زوجته، هي عادةً لديها أن تعطي الطباخ إجازة لتستيقظ هي من الصباح لتعد الأكل بنفسها يومًا واحدًا في الأسبوع كنوع من التغيِّير.

***

تقوس ظهري عند النهوض بفزع من النوم بعدما اطلعت على حلم كئيب، والغريب أنني ليس لي دخلٌ بهِ، ولم أر هؤلاء الشخوص الذين ظهروا في الحُلم مسبقًا، لكن فزعة حلم يتمثل في عائلة تتكون من زوج وزوجة وولدين ذاهبة إلى عطلة في الإسكندرية ترتطم سيارتهم في حادثة بشعة توفي فيها ولد وآخر على صرَاط بين الحياة والموت في غرفة العناية المركزة، لَمْ يكن بالأمر الهينَ..

تداركت أنني كُنت أحلم بعد وهلة، أخذت الطرقة إلى الحوض، تركت الماء ينهمر على يدي، وغسلت وجهي بالماء وعدتُ إلى المكتب جالسًا مهموم البَال وخاطري يتلاعب بي، لَمْ أستحسن القراءة في ذلك الوقت رغم أنني عندما لا أقرأ يتوقف عقلي عن الإفراز وقلبي عن النبض، ومسحت بعيني أسماء الكُتب،

واستذكرت الكتاب الذي لَمْ أنته منه حتَّى الآن رغم أنني كتبت فيه الكثير ولَمْ يتبق إلا القليل.. فصلين أو أكثر أحدهما بعنوان الروح والآخر بعنوان تحضير الأرواح ومقدمة للكتاب كُلَّ ما ينقصه.

لَمْ يكن بالي رائقًا للكتابة أيضًا ففتحت التلفاز لأتنقل بين القنوات الإخبارية حتَّى مَلَلْت من الكوارث.

أغلقت التلفاز، وجعلت الأضواء خافتة قليلًا لأستكين مُتأملًا السقف البارز بعلاماته وأرقامه وأشكاله الفسفورية التي لا تظهر ألَّا مع خفوت الأنوار وبعض الهمس والوسَوسة. الهدوء جعل بالي هادئًا بعض الشيء واستكان كياني وقُلت لنفسي:

- لَمْ يعد الكثير في حياتي لعلها سويعات قليلة، ربما أيام أو شهور لن ترتقي لسنوات وأكون في القبر..

أمسكت القلم وبدأت في الفصلين الأخيرين لكتاب بعنوان (سحر فرعون وعجائب الكون) وبدأت في الكتابة..

الروح

الروح داخل الجسد تسمى نفسا وهي خارج الجسد تسمى روحا مثل الماء داخل الثلاجة أو الفريزر يسمى ثلجا وإذا خرج الثلج من الثلاجة تحول إلى ماء والله سبحانه وتعالى حينما كان يخاطب الروح وهي داخل الجسد يقول (يا أيتها النفس المطمئنة)

ولم يقل (يا أيتها الروح المطمئنة) لأنها داخل الجسد فما زال اسمها نفسا ولذلك الطب النفسي سابقًا يسمي الطبيب النفسي (حكيم روحاني) لأنه يعالج النفس داخل الجسد أي علاج روحاني، ولذلك كان العلاج سابقًا بالتنويم المغناطيسي وليس بالعقاقير والمهدئات كما هو شائعًا الآن، وكان العلاج بالإيحاء الذاتي - وكان المريض أثناء نومه مغناطيسيًّا يتكلم بعقله الباطن دون أي حياء وكان الطبيب يستطيع بسهولة أن يعرف سبب مرضه النفسي فيكون علاجه سهلا.

***

تنهدت حينما انتهيت من جزء الروح، سارعت بالدخول إلى المرحاض لأقضي حاجتي وأكتب بأمعاء خاوية وذهن صافٍ، وعدتُ إلى المكتب بعدما أحكمت إغلاق باب المكتب خلفي جيدًا.. أشعلت عود بخور ذا رائحة نفاذة أعشقها، وَرَبضتُ على كرسي المكتب.

أمسكت القلم وأغمضت عينيَّ للحظات قبل أن أعاود فتحهما وأستكمل الكتابة..

تحضير الأرواح

سمعت كثيرًا أن كثيرًا من الناس قاموا بتحضير أرواح الموتى

وعرفوا منهم بعض الأشياء، ومنهم من عالج بعض المرضى عن طريق تحضير الأرواح، ومنهم من قام بتحضير روح أحد الموتى وسأله عن بعض الأشياء وأجابهم إجابة حقيقة، ومنهم من أدلى ببعض الأسرار وكانت حقيقة أن صورت هذه الأرواح فعلًا، وكتب الأستاذ الكبير الراحل رؤوف عبيد الأستاذ بكلية حقوق عين شمس وكان له أكثر من كتاب عن تحضير الأرواح، وقد صور على أحد الأغلفة صورة الأستاذ يوسف وهبي وهو يعالج عن طريق الأرواح، وتكلم البعض عن تناسخ الأرواح؛ وقال إن الروح تكلمت وقالت أنها أن تكون في جسد المرحوم فلان كانت في جسد فلان وقبله في جسد فلان وهكذا، أي أن الروح قالت لهم حين وفاة الإنسان تخرج منه وتدخل في جسد شخص يولد الآن، طبعًا من هنا أن غير متفق معهم على هذا إطلاقًا وأنا أعذرهم لأنني حين حضرت وقالت هذا الكلام ورغما عن هذا أنا معترف بهذا الكلام.

***

شوش صوت عالٍ، سريعًا ما خفُت، ثم اختفى، انغماسي.. تمزَّقت روحي ونقضً الصوت خِلوتي. نهضتُ أبحث في الغرفة، وأيقظتُ لهب فتيل قنديل أحب رؤيته في المكتب رغم التطور والكهرباء. تسربت في جسدي كهرباء جعلت كتفيَّ ينتفضان،

وقفت في منتصف الغرفة تحت الدائرة المرسومة على السَّجاد الأحمر المزركش، نظرتُ باتجاه السقف، ثم أغمضتُ عينيَّ ورأيت رؤية توضح أنني في الخلاء؛ فالمكان خالٍ لَا أحدَ بِهِ، وفجأة ظهر على آخر ناظريَّ شاطئ تضربه أمواج تجعل هديرها يصدح في الأرجاء، أما السَّماء من فوقي تراكمت فيها سُحب عظيمة على شكل حيتان من الواضح أنها تتألم وتتلوى حتى تصبح أجسادها على هيئة قوس رامي السهام، وفي البحر ظهرت مجموعة حيتان ضخام تجنح تجاه الشاطئ في محاولة للانتحار كظاهرة انتحار الحيتان وخاصةً نوع يسمَّى (الربّان)..

مرة أخرى كأنني صُعقت بواسطة شعاع برق ضربني، هزَّزتُ رأسي بعنف لأستفيق، وقلتُ لنفسي:

- بشارة شهر مارس صاحب برج الحوت..

شيء ما أعادني للهدوء، فاقتربت للمكتب، جلست، أمسكت القلم، واستكملت ما بدأت..

***

أولًا: كيف نحاسب يوم القيامة؟

هل سنحاسب كل خمسين جسد في روح واحدة كما قالت الروح لهم؟

ثانيًا: كيف يستطيع بشر على وجه الأرض أن يقوم بتحضير روح وهذا من الله سبحانه وتعالى: الآية: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وأن الله يتوفى الأنفس والله يتوفى جميع المخلوقات ما عدا الروح لم تمت لأنها غير مخلوقة لأنها من الله سبحانه وتعالى.

ثالثًا: على كلامهم أثناء تحضير الروح وهي تكلمهم معنى ذلك أنهم حاليا في جسد إنسان موجود في الدنيا إذن أثناء تحضير الروح توفي هذا الشخص.

إذن تحضير الروح هو أمر خاطئ رغم ما يحضرونه أمامهم، ولكن ما هي هذه الروح التي تحضر أمامهم وتكلمهم، إنها روح قرين الإنسان المتوفي لأن الإنسان حينما يتوفى يخرج قرينه من جسده قبل خروج روحه من جسده ويمكث فترة وفاته دون قرين - ومن هذا ينكشف عن الحجاب ويرى جميع من حوله من العالم غير المنظور ولذلك يقول الله تعالى: (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فإنه يرى ما لا يراه الناظرون.

فإن القرين هو الذي يخرج من جسد الإنسان قبل وفاته، ويدخل في جسد طفل ما تمت ولادته - والحديث الشريف (ما يولد إنسان إلا ويستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا عيسى بن مريم ومريم

ابنة عمران).

والروح سميت روحًا وهي خارج الجسد المادي وحينما تدخل أو تكون في الجسد المادي تسمَّى نفسا والله خاطبها في أكثر من آية وهي داخل الجسد المادي (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)، والآية (كل نفس ذائقة الموت) ولا يقول كل روح ذائقة الموت معنى ذلك أن عند وفاة الإنسان تموت النفس وتعود مثل كوب الماء حينما رأيته تستطيع أن تقول أن ما في هذا الكوب هو ماء ولكن بعد أن يوضع في الثلاجة أو الفريزر تقول إنه ثلج أي أنها طالما موجودة في الثلاجة يكون الاسم ثلجا وحينما تخرج من الثلاجة يموت الثلج ويعود ماء، والروح لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع أحد أن يعرف أين هي أو إلى أين ذهبت.

والعمر المادي يختلف تمامًا عن العمر الروحي ولكن الطرح الروحي أنا أعترف بهِ حقيقيًّا. لأن أي إنسان معرض وهو نائم أن يحدث له طرح روحي مؤقتَ أي خروج الروح من الجسد، ولكن ثبت أن لها حبل أثيري هو همزة الوصل بين الروح والجسد إلى أن تصل الروح مرة أخرى إلى الجسد وهو نائم، ولذلك ننصح أي إنسان يوقظ أي شخص من نومه يوقظه برفق ولا يزعجه لأن في احتمال أن تكون في هذه الساعة الروح خارج الجسد فينقطع الحبل

الأثيري ولا تستطيع دخول الروح إلى الجسد ويموت الشخص فعلا ولذلك نرى بعض الأشخاص عندما توقظهم من النوم يحدث له بعض الهيجان في قلبه ونرى دقات قلبه سريعة فهل هو كان نائماً؟ أو كان يجري؟ والإجابة هنا أن كان نائماً ولكن عنده طرح روحي وروحه خارج الجسد المادي وحينما أيقظته خرجت بسرعة وحدثت هذه الأشياء.

وأما العمر الروحي كما قلت من قبل إنه يختلف تمامًا عن العمر المادي لأن الإنسان وهو نائم وعنده طرح روحي فإنه يحلم في ذلك الوقت بأنه في بلد بعيدة ويعمل أشياء كثيرة أو يركب طائرة ويعمل أشياء كثيرة جدًا تقاس بحوالي يومين في العمر المادي وحينما يوقظ يجد نفسه نائما حوالي عشر دقائق فقط، فمن هنا تصل إلى أن العمر الروحي يختلف عن العمر المادي ولذلك الله يتوفى الأنفس عند موتها - وهو الطرح الروحي المؤقت أما الطرح الروحي الدائم هو الوفاة.

ويقول بعض العلماء بأن ليلة الوحدة أي ليلة وفاة الإنسان تمر عليه في القبر بمقدار أربعين عاما. كيف تمر عليه في القبر مقدارها أربعون عام.. كيف تمر عليه أربعين عاما وهي اثنتا عشرة ساعة فقط. نقول بانها مثل الطرح الروحي المؤقت كما ذكرنا أثناء حلم الإنسان، يفعل أشياء كثيرة تقاس بحوالي يومين وتكون فترة نومه

عشرة دقائق فقط. ولذلك أقول إن الروح لا يستطيع أي إنسان تحضيرها ولكن في استطاعتهم تحضير أرواح الجن أو أرواح قرين الإنسان، والروح لا تموت ولكن الجسد هو الذي يفنى.. والله أعلم..

والآية الكريمة تقول (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى).

***

أغلقت القلم حين انتهيت من النص، وأغمضت عينيّ للحظات.

الفصل الخامس

نفس اليوم ..

كافيه السعادة..

اقترب عصفور من الكافيه المُطل على النيل، دلف بابه وسار ناحية رَجُلين. وَاحِدٌ منهم طويل القامة، نحيف القوام، غائر العينين، صاحب نظرة حادة، ويرتدي معطفا جلديا بُنيا يواري تحته مُسدسا صغيرًا. أما الآخر مفتول العضلات، متغضن الوجه، وتصل أكتافه إلى شمحه أذنه من ضخامتها، فالذراع الواحد يمتلئ بعضلات تزن الواحدة منهم طن تقريبًا، وساقيه مقوستين. ظهرت وهو يقف ليحيي حمزة:

- إزيكم يا رجالة..

نظر عصفور للرجل النحيف وأردف:

- إزيك يا سمير.

وأكمل مُشيرًا بيده:

- اتفضلوا اقعدوا يا رجالة.. لسه مش هنتحرك دلوقتي.

جلس الثلاثة واستكمل عصفور الحديث:

- بصوا يا رجالة.. إحنا مش عايزين نقطة دم واحدة.. عايزين نخلص المهمة دي على خير من غير دم.. وناخده في العربية.

هزَّ مسعد وسمير رأسيهما وأردف عصفور وهو يشخص بصره لمسعد:

- أنت يا مسعد.

- معاك يا باشا.

- عايزك أول ما نقف بالعربية تنزل بسرعة وتكون مجهز المسدس، بس افتكر مش عايز نقطة دم حتى لو حصل إيه.. كل المطلوب إنك تخضه بيه.. تثبته بالمسدس بس.

- اعتبره حصل يا ريس..

- مسعد الله يخليك ما تتهور.

- عيب.. متقلقش..

أردف عصفور اسم شهرة سمير بعد صمت:

- أما أنت يا عَضَل..

- أوامرك يا رياسة..

حرك رأسه تجاه واستكمل:

- أول ما مسعد يثبت الراجل تنزل من العربية.

أخرج عصفور سرنجة وثبتها بينه وبين سمير في الهواء وهو يشرح:

- هتاخد الحقنة دي تدبها فيه وتنقله على العربية.

- تمام..

نظر في عيونهما وقال:

- دا كله أنا معاكم.. هكون بسوق العربية..

كرر حرف الـ(و) ثلاث مرات:

- و و و...

ثم استكمل:

- ولو حصل حاجة هنقطع المقابلة يوميها لغاية ما أكلمكم.

شخص عصفور نظرة في الفراغ قبل أن يغمض عينيه ويفتحهما ثانيةً على عقرب ساعة ذهبية في يده. في تلك الأثناء سمع صوتًا يقول:

- اتأخرت عليك؟

- لا يا حمزة بيه.. مفيش أي تأخير مواعيدك مظبوطة دايماً.

قالها عصفور وأردف وهو يُشير إلى الرجُلين:

- مسعد وسمير الرجالة اللي هتقوم بالمهمة معايا..

صَمْت للحظات ثم أكمل:

- حمزة باشا اللي حكيتلكم عنه.

قام سمير وحيا حمزة قائلًا وهو يتفرس ملامحه:

- اتشرفنا يا باشا.

التفت إليه حمزة، ومشى إلى كرسي بالقرب حين صافحه مسعد دون أن يُحرك شفتيه:

- أنت عرفت إزاي إنه هيقبل يا عصفور.. أوعى في الآخر ميقبلش دنا مأكد للباشا الكبير.

قالها حمزة فرَّد عصفور:

- يا حمزة باشا متقلقش.. المهم ملف تحليل الدم وتوافق الأنسجة اللي اديتهولي يكون بتاع الباشا ويكون الأكيد.. هحور عليك يعني..

رفع حمزة حاجبيه بتعجب:

- هضحك عليك يعني يا عصفور وأجيبلك تحليل لحد تاني

يعني..

- مش القصد يا بيه.

قطع حمزة كلام عصفور في حين قال حائرًا:

- بس عرفت إزاي فصيلة دم وتوافق أنسجة الضحية.

تريث عصفور للحظات قبل أن يستفيض في الشرح:

- بسيطة يا باشا.. دي شغلتنا.. شوية داتا عملاء بنشتريها.. دلوقتي المصنع ولا الشركة من دول عشان تقدم لها بيعملولك كشف هيئة لا مؤاخذة.. من اسم لسن لعنوان لفصيلة دم.. إلخ والغرض من أغلبه أنهم يبيعوا الداتا اللي بيجمعوها دي سواء لشركات إحصاء أو شركات استهداف أشخاص أو ناس زي العبد لله.. سوق البشر غالي وبيغلى ومع دخول النت شوية المعلومات دي أهم من صاحبها نفسه.. غير طبعًا المعامل اللي تحت إيدينا دا مش بعيد يكون في كشف بتحليل ليك أنت شخصيًا لو كنت فوت على معمل من معاملنا..

ظهرت علامات الرضا على وَجْه حمزة من كلام عصفور الرصين، وأعجب بطريقة شرحه وطريقة عمله:

- عظيم.

- تعرف يا بيه الناس سمتني عصفور ليه؟

هزَّ حمزة كتفيه بما يفيد عدم المعرفة وقال:

- ليه يا عصفور؟

- عشان بجيبها وهي طايرة.

- كنا فيلسوف!

لفهما الصَّمت قبل أن يعاود عصفور قائلًا:

- شغلتتنا دي لازم نكون مصحصحين فيها ودارسين كل خطوة بنعملها..

تحول صوت عصفور لفحيح:

- عشان الغلطة بتموت مبتعجزش..

عادت نبرَّة صوته عالية:

-تعرف يا بيه إننا بنعمل استراتيجيات متقلش عن الاستراتيجيات اللي الباشا الكبير بيعملها للشركات بتاعته..

ابتسم حمزة بسخرية وهو يقول:

- كمان بتعملوا استراتيجيات!

- ودراسة حالة ودراسة سوق داخلي وخارجي كمان.. يا بيه

تجارة الأعضاء ده سوق وسوق كبير أوي كمان.. ليها بورصة خاصة.. وأسعار متداولة.. ومرة السعر فوق ووقت تاني في الأرض دا كله حسب الطلب..

قطع عصفور حديث نفسه ثم قال بلكنة فصيحة كأنه دكتور في محاضرة:

- فكلما زاد الطلب زاد السعر يا بيه..

ابتسم عصفور وشعر أن الأمر كبير، عكس ما كان يتوقع أنه يجلس أمام مجرم خطير:

- ما تستغربش يا بيه محسوبك خريج بكالريوس تجارة بتقدير جيد..

- كمان مُتعلم ودارس!

- أنت ليه فاكرني بياع بليلة!

- مش القصد..

صمْت ثم حول سياق الحوار قائلًا:

- المهم ماقولتليش..

- تحت أمرك؟

- الأيام دي الطلب عالي؟

- أوي.

- عايز كام؟

- مبتتحسبش كدا..

- أمال بتتحسب إزاي؟

- تعرف إن كان أسهل للباشا يسافر إيران.

استل حمزة سيجارة وأشعلها بعود ثقاب، أخذ نفسًا وأخرجه وهو يرفع كتفيه:

- اشمعنا إيران؟

- هقولك بعد ما تديني سجارة.

ناول حمزة سيجارة فأكمل عصفور:

- إيران عندها سوق خاص لبيع الكلى.. مش بس كدا دا كمان قانوني ومرخص.. زي مصر زمان أيام الملكية لمّا كانت مرخصة الدعارة.. نظام تقنين للأعضاء يعني..

- طيب مش عيب خريج تجارة بتقدير جيد يسوق لغيره!

شخص عصفور بصره في عين حمزة:

– منا مقولتلكش..

– وعايز تقولي إيه؟

– إن في وسطاء والموضوع مش بالسهل وسمعة الباشا مينفعش يتقل منه خالص فلازم يلجأ..

تفرَّس حمزة في ملامح عصفور:

– عايز كام؟

– أسعار الكلى في إيران بتلعب في سكة من ألفين لأربعتلاف.

مدَّ حمزة يده مُصافحًا وهو يهم بالمغادرة ويقول:

– بكرة يكون عندك أربعتلاف.

– مهلك يا سعادة الباشا.. الكلام ده في إيران ولما يكون في وسيط ودا صعب وتحت عين الحكومة.

– طلباتك؟

– هو أنا مقولتلكش على أسعار السوق السودة؟

– انجز يا عصفور عندي شغل!

– ٤٠ ألف.

– هيكونوا عندك.

- وهو كذلك.

سلم حمزة على الجميع وقبل أن يمضي أوقفه صوت عصفور:

- خُضر يا بيه.. ورق أخضر.

ضيَّق حمزة عينيه وهزَّ رأسه ببطء دلالة على الموافقة ثم قال:

- أول ما يحصل تيجوا على المكان اللي اتفقنا عليه بس خلي بالك وأنت جاي..

- أوامرك..

قبل العصر بدقائق، وبعد ساعات من الحادث، في قلب غرفة العمليات استبسل الطبيب لإعادة حياة يونس، لكن الرَّب اختاره، في المَلأ الأعلى سيرقد.

شابٌ وسيم نحت السَّجاد علامة الصلاة في جبهته، وتزينت لحيته بلون أصفر جميل بخلاف السيرة الحسنة من أفواه الناس عن أخلاقه، فضلًا عن أن الابتسامة لَمْ تفارق وجهة البشوش حتى عند الموت كانت تتلألأ الابتسامة على وجهه بغرابة، كأنه حُشِرَ في الفِردوس بغير حِساب ودون سابقة عذاب.

شّدَّت الممرضة اللحاف لتغطي وجه يونس، متأثرة بتلك الابتسامة الطيبة. خرج الطبيب مِن الغرفة، جذب انتباه أدهم

صوت الباب يفتح، حرك رأسه المُلاصقة للحائط ناحيته وانتظر اقتراب الطبيب الذي قال فور وصوله:

– ابنك وشه بينور.. البقاء لله.

قذف الطبيب كلمة البقاء لله كأنها قذيفة مدفع انفجر مُدوّيًا في بدن أدهم. شُلَّ عقله وتوقف تفكيره، وتخدر جسده.

في الَّمر وضع رأسه بين كفيه، وعينيّه تطفح احمرارًا وتنفجر بكاء لم يتوقف.. يضرب الكف على الكف، ويلعن الحياة وما فيها، ويتعجب كونه كان في المقدمة يسوق السَّيَّارَة، وخدوش طفيفة فقط ما مسَّته لَمْ تصل لحد جروح عميقة.. فلا كسر.. ولا فقدان ذِراع.. ولا الحاجة لبتر ساق أو يد.. ولا حتى نزيف دموي بالغ! يتحسر على الولد المفقود، ويتفتت قلبه على الآخر الراقد في العناية المركزة بين الحياة والموت، منتظرًا البلاء الآخر لفقدان الولد الثاني في حادثة كان هو السبب فيها، آه لو لم يفكر في الشهوات، وأعطى بالًا للطريق بدلًا من النَّجاسَة، أو أنه لَمْ يستمع لزوجته، ولَمْ يهتم لأمر فتح مسجل السَّيَّارَة.

تركه الطبيب جاثيًا على رُكبتيه، ينحني بظهره في وضع السُّجُود ويديه على رأسه متحسرًا نادمًا مَفْجُوعًا ويهذي بكلام وسط بكائه.

في العناية المركزة يرقد آخر نسل من أدهم، في تعداد الموتى

لكن الروح لَمْ تخرج بَعد، يجاهد من أجل البقاء حيًا. حين اقترب أدهم ليطمئن عليه جلس بجانبه واسع العينين لا يستوعب حجم الفجيعة التي أصابتهم وظل يردد..

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

والدمع يتقطر دمًا من عينيه، خرج من غرفة العناية إلى ماجدة. كانت حالتها مستقرة، قال له الطبيب ذلك، رغم كسر في الحوض ونزيف تم إيقافه، ووجه محشوٌ بالزجاج. نظر أدهم لجسدها الواهن، بينما بصعوبة مالت هِي برأسها وقالت بنبرة واهنة:

- الولاد فين؟

مَسح الدموع وحاول التماسك:

- بخير يا ماجدة متقلقيش.

أغمضت عينيها ورجعت برأسها للخلف، ودارت رأسها بالأفكار وهي تهذي وتردَّد:

- العيال مش بخير.. العيال مش بخير.

تجدَّد بكاء أدهم فأدركت ماجدة من تمزق نِيَاط قلبه سوء الأمور وخمنت أن الولدين قد ماتا فأدرفت:

- الاتنين؟

ردَّ بحسرة بعد أن تنهد:

- متتعبيش نفسك يا ماجدة الولاد بخير.. ادعيلهم يقوموا بالسلامة.

لَمْ يستطع التحمل، جثا بجانب السرير ودسَّ رأسه في فرش الفِراش الأبيض، فسمع صوت نحيبها الناتج عنه تقبّض تشنُّجي واختلاجات في عضلات الصدر الذي ظل يهبط ويعلو مع البكاء والنحيب.

اعتدل بصعوبة حتَّى وقف أمام حوض صغير في الغرفة أسند يديه على حافته وهو يتأمل عينين حاوطهما الأرق وداخلهُما كأنما سماء ضُربت بواسطة برق أحمر مُتشعب. غَسَل وجهه بالماء بعدما ألقى نظَرة أخيرة على ماجدة قبل أن يدلف باب الخروج للمَّمر، ترجل حتَّى وصل لغرفة العناية المركزة، خطف نظرة عبر الزجاج لأشرف المسجى جسده على السرير بالداخل، وبلا كلمة استقبل الطبيب الذي قال:

- لازم تستريح شوية يا أستاذ أدهم.. لازم أنت كمان تريح

جسمك شوية مش معقول تفضل بالمنظر ده.

- أشرف هيحصل يونس؟

سأل أدهم فأجاب الطبيب:

- ادعيله يقوم بالسلامة.. هو مش محتاج حاجة دلوقتي غير الدعاء دلوقتي..

وكل حاجة في إيد ربنا..

قالها الطبيب وهو يربت على كتفه ويقول:

- خلي إيمانك بربنا كبير..

ونعم بالله.

***

توَّقفت السَّيَّارَة في أرض شاسعة تحت صبغة السماء البرتقالية. نزل مسعد وسنَد على مُقدمتها، لفَّ سيجارة لثمها في فمه، ولمح غروب الشمس يضرب رأس حسَّان الصحراويَّة كأنه كاهن معبد فرعوني بينما يخرج من المصنع الذي يعمل بهِ، تابع مسعد تفادي حسَّان للسَّيَّارت وهو يعبر الطريق الأسفلتي السَّريع، وسمير وعصفور يتابعان ما يحدث من الداخل، عند قُرب الضحية دَهْس مسعد السِّيجارة تحت قدمية وأطلق آخر نفس في الهواء، ووضع يده

في جيب سرواله من الوراء متحفزًا ومستعدًا وهو يتقدم بخطوات سريعة، خطف نظرة للخلف وتابع السير، أخرج المسدس.. ووجَّه فوهة المسدس تجاه حسَّان تحت نظر سائق مقطورة ركز بصره لثوان على ما يحدث فانحرفت سيارته على الرمال الصفراء زحفًا.

أطلق مسعد رصاصة من فمه وقال:

- بشويش تعالى على جمب عشان محدش يتخربش..

تسمر حسان في مكانه، لف برأسه ليجد من ينجده، ضرب الاضطراب عينيَّه وردَّ بجزع:

- حاضر..

- متحاولش.. خليك مطيع.

- ممعيش حاجة تلزمك..

- لا عندك بدل الحاجة عشرة تلزمنا.

- إيه هما؟

وقبل أن يكمل حديثه دسَّ سمير السرنجة في جسد حسَّان، جحظ عينيه للحظات قبل أن يقع ويرتطم على الأرض مُغشي عليه، فقال مسعد:

- أعضاءك اللي تلزمنا.

حَمَل سمير جسد حسَّان على كتفيه، كان خفيف الوزن فلم يجد صعوبة في ذلك، أودعه داخل السيارة وانطلقا تاركين وراءهم زِحاما تراكم حول مقطورة داخلها سائق لفظ أنفاسه الأخيرة.

أخرج عصفور هاتفه المحمول، مسح الأسماء بعينيه وقام بالاتصال بحمزة:

- كله تمام يا حمزة بيه.

- عاش يا عصفور.

- في مكاننا؟

- أيوه بس أنا مش هكون موجود في المكان.

- أمال!

- النهارده تتاويه في المكان بمعرفتك.. وأن شوية وهكلمك أبعتلك لوكيشن المكان اللي هنتقابل فيه بعد بكره ومعاك الأمانة.

- هنتظر.

- ومتقلقش فلوسك جاهزة..

- خُضر؟

- خضر يا سيدي.

- تمام.

- سلام يا عصفور.

- سلام يا بيه..

الفصل السادس

اليوم التالي..

استيقظت على صوت أذان العصر، تبللت ثيابي بفعل العرق الذي كسا جسدي مع توقف المروحة لانقطاع الكهرباء، قاومت النوم، وتكسير العظام من نوم العصاري، فكرت في الاستعداد لخلوة أنهي فيها آخر جزء من فصل تبقى، فاستجمعت ما بقي مني من قوة حتى دلفت باب الحمام، نزلت تحت صقيع مياه الدُّش، أغمضت عينيَّ تحت انهمار المياه مُسترخيًا مُطهرًا نفسي مِن الدَنس، وروحي من الشتات، أوقفت عقلي عن التفكير داخل الحمام، وأخذت منشفة حاوطت جسدي ولَمْ أُجفف نفسي بها حتى لا يفسد الهواء الحار انتعاشي، فسقطت قطرات المياه وبصمت برك مياه أَخْمَصُ قدمي على الأرض.

حين وصلت للمكتب، وضعت سجادة صغيرة للصلاة، وقفتُ باتجاه القبلة، وكبرت.. حين سلمت على الملاكين قمتُ لكرسي المكتب فجلست، أخذت نفسًا عميقًا وحبرت على الورق ما تبقى من كلام ورسوم..

فوائد البرهاتية

كيفية التصرف في الخصوصيات:

إذا أردت إحضار روح علوية أو سفلية فصم لله تعالى يوما وادخل مكان طاهرا خاليا من الناس وبخر بعود (...) واقرأ (...............) واطلب أي روح فإنها تحضر إليك وتقضي لك ما تريد.

وإذا أدرت صرع مصاب فاكتب على كفه ه ه ه وأمره أن (............)

وبخر ب (...........) فإنه ينصرع فإذا أردت إفاقته فامسح كفه.

وإذا أردت صرع فاكتب الرفق الآتي في (...........) وبخر بـ (........) واجعل الكف فوق البخور ثم اقرأ (..........) وكرر ذلك حتى ينطق فإذا نطق اسأله عما شئت فإنه يخبرك فإذا أردت صرفه فاصرفه بالانصراف الآتي في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى وهذه صفة الرفق كما ترى..

***

توقفت عن الكتابة وأنا أجفف العرق الذي بدا واضحا عليَّ..

أمسكت القلم مُجددًا وكتبت المُقدمة بعد أن انتهيت من كتابة الفصول..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين..

أما بعد...

عزيزي الطالب للعلوم بعد أن قمت بتأليف كتبي السابقة ووضعت فيها من أسرار في علوم الفلك والروحاني قمت بتأليف هذا الكتاب وقد أجهدني جدًا في جمعه حتى يكون بين يديك حتى تستفيد عزيزي القارئ منه.

فقد وضعت فيه كثيرًا من الأبواب المجربة الناجحة فلا تهمله ولا تعيره لأحد حتى لا يستخدمه فيما لا يرضي الله - ورجائي أيها القارئ أو الطالب ألا تفعل بهِ شيئًا يغضب الله وحاول أن تفهم ما بهِ وتكون على هدى ونور.

وفقك الله لما فيه الخير والسلام..

المخلص للجميع

السيد الحسيني الفلكي

***

سقطت أشعة الشمس بشدة، وامتزج الهواء برياح عاصفة خماسينية هوجاء، فهبت تضرب الطرقات بهواء حار، بينما لَمْ يَصل بعد الدكتور طه لشقة مدينة نصر التي تنتظره فيها شاهيناز طبقًا لموعد مُسبق عبر الهاتف.

وقف على جانب الطريق نَزل، على مَضَض في الطقس الحار من السَّيَّارة لصيدلية اشتري منها دواء مُحبَّبا، ومضى سيرًا لمترات حتى توكيل خمور حاسب بائعه على زجاجة أخفاها في كيس أسود، رجع للسَّيَّارة بوجه يتقطر عرقا، أدار السَّيَّارة وطالع أخبار اليوم عبر راديو السيارة حتَّى وصل للمنزل، رَكن السَّيَّارة في جزء بعيد عن المنزل خوفا من أن يتعرف أحد عليه وبالتالي على المنزل، نزل بالزجاجة والدواء من السَّيَّارة حتى وصل ودسَّ المفتاح في مزلاج الباب، خلف الباب كانت تنتظره شاهيناز.. تَصَبَّبَ وَجْهُهُ عرقًا، ثم هجم عليها.. ونزلا تحت الغطاء.

- مخدتيش حاجة للمنع ليه؟

ابتسمت بسخرية وقالت:

- أنا أرضي وبقالها سنين ما بتنبتش هتيجي على اليوم ده وأحبل منك!..

سكتت ثم قالت:

- حبيبي أنا بقالي فوق العشر سنين مبحبلش..

رفعت حاجبيها مع بعضهما وهي تبتسم:

- أنت بتروي أرض بور ليست صالحة للزراعة والحصد.

الإضاءة كانت خافتة، ذات عمود الشمع فوقعت بقاياه، قلَّ ضؤوه وضرَب نوره جزءا من الغرفة، عبر ممر يؤدي إلى الصَّالة يقع شعاع شمس نفذ مِن نافذة، مشت شاهيناز لتعبر الصّالة، وقفت لتلتقط أنفاسها، فوقع الشعَاع على عينيها، ورسم حِزام أمان على جسدها، استمدت نشاط منه، وقطعت الصّالة حتى الحمام، قضت حاجتها ورجعت للغرفة تجلس بجانب الدكتور طه على حافة السرير، فقالت بنبرة واهنة:

- حبيبي.

- نعم!

- محتاجة منك طلب.

كان ردها كفيلا بجذب انتباه طه فنطق:

- تحت أمرك يا حياتي.

- جوزي محتاج عملية.. زرع كلى.. وقعت بلساني وقولتله أعرف دكتور بيعمل عمليات.

- وكان لازم تحدفيه في سكتي يعني!

قالها طه وهو يرمي طرف عينيّه على الكومود ثم أردف:

- ليه ندخل الشك في قلب الراجل!

مدَّ يده واستل سيجارة من علبة كانت موضوعة على الكومود:

- المشكلة إني مشغول الفترة دي وصعب كمان أوفرله وقت في الظروف دي.. وبعدين هو مش مسافر كمان أيام؟

جاوبت بحسم:

- أجل سفره.

- وبعدين؟!

- يا بابا ولا حاجة فضيله بس معاد ومفيش شك ولا حاجة متقلقش.. بس ضروري عشان خطري لازم تحاول أنا وعدتـ...

قاطعها:

- وطبعًا سألك عرفتيني منين.

- قولتله عن طريق زمايلي في النادي لمّا كانوا بيحكوا إنهم بيعملوا عمليات إجهاض..

غلب الصمت الموقف فقطعته قائله:

- عشان خاطري.

- بس يحبيبـ..

بترت الجملة عندما وضعت إصبعا على فمه وكررت:

- عشان خاطري..

فقال مُستسلمًا:

- حاضر..

ثم استكمل:

- بكرة الساعة سبعة في العيادة يكون جاهز مع المُتبرع..

- تمام

وقبل أن تنصرف قال:

- يكون محضر كل الفحوصات اللازمة وأكيد اللي جابله المتبرع عارفين هما إيه.. والمتبرع يصوم ٨ ساعات..

نظر في ساعة الحائط وقال:

- مياكلش من دلوقتي.

***



في الفيلا كان عقرب الساعة وصل للتاسعة مساءً عندما دلفت شاهيناز من الباب، قابلها الجارحي بوجه صلد عند نزوله من سُلم الدور الثاني الداخلي، بادلها نظرات جامدة قبل أن يقول:

- كنتي فين يا هانم؟

وضعت شاهيناز الحقيبة على الأريكة وقالت بثقة لتحول دفة الحوار بدلًا من السين والجيم عن تأخرها:

- بشوف صِرفة في موضوعك.

نزل من على درجات السُّلم حتى وقف أمامها، ثم قال:

- موضوع إيه؟

- العملية.. أنت نسيت.

- منسيتش! وعملتي إيه!

- بكرة الساعة سبعة تكون موجود في العنوان دا..

أخرجت ورقة بها رقم هاتف وعنوان وأدرفت:

- متتأخرش.

وضعت الورقة في يد رشيد قبل أن تأخذ الحقيبة من على الأريكة وتمضي لغرفة النوم.

الفصل السابع

يوم الخميس..

٧:٠٠ مساءً

حِين وصل كان جَسد الدكتور طه مُدغدغا، عضلات ساقية متيبِّسة مُنذ وضعَ قدميه في العيادة، فوجد الترقب في وجه المساعدين.. أمر طبيعي التعجب، فمن المفترض أن يكون اليوم إجازة، ولم يعهد الممرضون أن يعمل الدكتور طه يوم الخميس إلا لو حكمت الضرورة. لكن باتصال أجبرهم على الحضور. وخلال دقائق كانوا قد وصلوا.

في الحقيقة من الصعب إطلاق على المساعدين ممرضين، هم في الأغلب لا يفقهون شيئا عن التمريض، عاهرة هي سندس مهنتها الأصلية، اصطادها الدكتور طه بالقرب من الكورنيش بثمن بخس وسهرة عشاء في مطعم، في ذلك الوقت كان بداية الدكتور طه في فتحِ العيادة الشمال، وبعيدًا عن الأنظار فكر في تعليمها التمريض، بدلًا من البحث عن ممرضة عديمة الضمير، وخوفًا من الفضيحة لو اكتشف أمره فكانت سندس خير اختيار، شربت المهنة في أيام قليلة، وأصبحت مساعدة في غرفة العمليات التي يجريها الدكتور

طه دون الحصول على شهادة تعليم.. وفي كل أول شهر يدفع لها مبلغا من المال، أما الآخر شاب لم يقم طه بتعليمه، هو فقط مساعد لا يعرف معنى أن يقسم الفخذ إلى أربع أرباع، يُناول أو يتناوب في شيء، ينظف أو يعقم هو أقصى إمكانيته.

قبل أن يأتي الدكتور طه بنصف ساعة كان موجود عصفور ورجالته مع حمزة وحسَّان.. كان الأخير مربوط الأيدي والأرجل، ورقبته برأسه مُلتف حولها كيس أسود من القماش يمنع الرؤية، بحقنة تخدير من سندس قد نام، وبدأ طه في فحص حسَّان، تحرك حمزة وفي يده فحص آخر وضعه في يد طه الذي مرر عينيه على فحص المريض بالكامل ثم بدأ في مرحلة التجهيز للمرحلة الأخرى، وقام بإخراج الكلية من جسد حسَّان المُتبرع المغصوب.

أثناء ذلك كان تحضير جراحة زراعة الكلى في جسم الجارحي قد تم بوصوله مع شاهيناز التي خطفت نظرات سريعة من خارج الغرفة التي تجري بها العمليات إلى طه، استلقى الجارحي بعد الاطمئنان أنها جراحة عابرة ليست خطيرة، أخذ مُخدرا.. ثم تم تعقيم منطقة البطن بشكل دقيق جدًا، شقها طه شقا يخترق جميع طبقات الجلد والأنسجة تحت الجلد وعضلات وأغشية البطن حتى وصل للكلية المتواجدة في القسم الخلفي الجانبي من البطن.

نزع الكلية غير الفعالة.. من ثم تأكد الدكتور طه من سلامة تجويف البطن.. والتحضير من أجل القيام بالزراعة، وبالكلية الممنوحة يوصلها بالأوعية الدموية الكلوية، ويتأكد من مرور الدم بشكل جيد فيها، ثم وصل الحالب من الكلية الجديدة إلى مثانة المريض.. وفي النهاية قام طه بخياطة أغشية البطن، عضلات جدار البطن والطبقات الجلدية وتضميد الشق الجراحي.

في الغالب قد نزع طه كلية حسَّان كاملة وهذا خطأ كلف عدم استقرار حالة حسَّان، حيث نزع واستئصال الكلى بشكل تام في معظم الحالات مقترن بمعدل وفاة أكبر بعد الجراحة.

بعد ساعتين ونصف السَّاعة، لمح طه في الجهاز الطبيّ لتخطيط القلب مسار وميض الخط التَّرددي المُنتظم لرسم القلب، ثم لدقائق تذَبذُّب، قبل أن يستقيم الخط ويتخذ شكلًا موحد.

بعد العملية، جلس طه منهمكًا، يتأمل مسار الخط، قبل أن ينزع الكمامة عن أنفه اقترب حمزة وقال:

- إيه الأخبار يا دكتور؟!

ازدرد طه ريقة بصعوبة، ثم قال:

- أغلب الظنون إنه مات.

- المهم العملية نجحت؟

حرك الطبيب رأسه بالإيجاب وقال:

- نجحت يا سيدي.

- الله أمال مالك طيب يا دكتور.. ما البقاء لله.. قدره مايعيشي أكتر من كدا.. دي حاجات بتاعة ربنا.. قضاء وقدر.. أنت هتكفر ولا إيه يا دكتور!

استغرب طه ولَمْ ينبس ببنت شفة فيما أردف حمزة:

- المهم الجارحي باشا بخير!!

لَمْ يرد هذه المرة، أعطى لظهره لحمزة واقفًا أمام حوض صغير، غسل يديه بينما يقف حمزة الذي أعاد السؤال منتظرًا الإجابة:

- الجارحي باشا بخير يا دكتور؟!

جفف طه يديه وقال:

- بخير.. المهم هتعملوا إيه في الجثة دي؟

- أنت خلاص اتأكدت إنه أتكل؟

- أيوه يا سيدي ربنا يرحمه.

- يا ربّ.. الفاتحة.

قالها حمزة ورفع كفي يده أمام وَجْهه في وضع الدعاء، وقبل آخر آية ارتفع صوته:

- ولا الضالين آمين.. صدق الله العظيم.

ثم مسح وجهه بكفيه بعد الانتهاء من تلاوة سورة الفاتحة أمام ملامح الاستنكار الذي بدت على وَجْه دكتور طه:

- ربنا يرحمه ويحسن إليه.

قالها حمزة ثم توجَّه بالحديث إلى عصفور عندما رفع صوته لينادي عليه:

- يا عصفور.

سار عصفور مقتربًا حتى وقف أمام حمزة:

- نعم؟

- الأمانة.

- مالها؟

- ماتت.

افتعل عصفور الحزن:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ربنا يرحمه..

- طيب شوفلنا صِرفة..

- حالًا.. وهتكون حاجة تليق بمقامه..

نظر عصفور في ساعته ثم أخرج هاتفه المحمول وضغط زر الاتصال على (حمدي التربي) فردَّ الأخير:

- إزيك يا عم حمدي؟

- الحمد لله يا عصفور يا بني.. أنت أخبارك إيه؟

- بخير والله.. نحمد ربنا.. يارب دايمًا يا عم حمدي..

صمت لبرهة ثم أردف:

- المهم..

- معاك يا عصفور.. اؤمر.

- الأمر لله.. أنا بس عندي أمانة وعايزها تتسلم للي خلقها معندكش مطرح جديد كدا يكون لسه مفتوح ويرد الروح؟

- عندي مطرح حلو ومش بقاله كتير لواحد مات ولسه دافنينه من يوم أو اتنين مش متذكر والله.

- حلو دا.. كلها نص ساعة أو ساعة وهكون عندك تكون مجهز المثوي الأخير..

- خلاص تمام.. منتظرك أنت وهي.

- وهو إن شاء الله..

- تمام.. مستنيك..

- مسافة السكة وهكون عندك.. تؤمرني بحاجة وأنا جاي؟

- لا يا عصفور شاكرين أفضالك.. توصل بالسلامة.

- الله يسلمك.

- مع السلامة يا بني.

- مع السلامة.

***

القرافة

٤:١٨ بتوقيت عزرائيل..

أمام غرفة صغيرة سقفها من الخشب وجريد النخيل، بها أريكة تُستخدم كسرير، مفروشة بحصير، وبها شباك يطل على صوت هَسيسُ ظلام الجبَّانة الذي لا ينقطع، يجلس حمدي أمام قصعة، يغلي برَّاد شاي على نارها، فيما تَهبُ شذرات القوالح منها قبل أن يتفادَها حمدي عند سماع طقطقة القوالح، كأن الطقطقة جهاز

يُحذر، رَصَّ وكرَّس قمَّة حجر معسل محشو دكا بالحشيش، وبضربة من الماشَة يقسم القوالح لأجزاء يَرُصَها على الحجر، يَشد من غابة الجوزة الغليظة نفسًا يملأ بهِ صدره، ثم يطلق الدُّخان عبر فتحتي منخاره وفمه فيرتفع الدخان مُبددًا في السماء.

سمع حمدي التُربي أصوت أبواق سيَّارات قريبة، شمَّر الجلباب حتَّى لا يتعثر عند الوقوف، ومضى بالقنديل حتَّى السيَّارات بجلباب واسع لونه أبيض مُترَّب مُتكأ بيديه على قمَّة العَصا الأبنوسيَّة، وباليد الأخرى قنْديل قد مُلأه عن آخره بالماءِ والزيت، أشعَل حمدي النار في فتيل القنديل فتراقص لهبه.

رَحب بهم بعدما مَسح وجوههم، ثقب بنظره زُجاج السيَّارة الصَاعد من نافذتها دُخان سيجار ذي رائحة نفاذة يطلقها فم حمزة، حَرك عم حمدي رأسه جانبًا ليشاهد سيَّارة أخرى سوداء تقف خلف التي يخرج منها سُحب الدخان. كان هذا على باب المقابر تحت سَفح جبل المقطم. بينما يرَمي مصباح صغير بضوء أصفر شحيح خيال عم حمدي وعصفور وباب حديدي يُعَد مدخل القرافة التي سُميت باسم قبيلة مِن المغافر يُقال لهم (بنو قرافة)، الباب كان مقوسًا من الأعلى كالقوس، بهِ بابان صغيران، واحد يَعبر من خلال فتحته النَّاس، وباب آخر صغير إذا فتح مع الأول تَعْبُر من خلاله سيَّارة كبيرة الحجم، كان الوقت وقت غبشة الليل،

بينما السماء الصافية والقمر هارِب ونباح الكلاب يضرب في الجبال فيُرد صدى صوتي يعبر من خلَال الأحواش.

من خلفهم شارع طويل مسكون بشكل عشوائي ببيوت قديمة مُتهالكة قابلة للهدم، ومُعلق على كُلّ منها لَمَّبة تطبع دائرة ضوئِية على الأرض، والكيان الجبلي يقف سدًا في النهاية كشكل هُلامي.

- فين الأمانة؟

كسر حمدي الصَّمت فردَّ عصفور:

- في الحفظ والصون بس عم حمدي وحياة ميتينك الجثة دي بذات ما تتباع للعيال بِتوع كلية الطب.

- ما تقلقش يا عصفور.. عيب.

- طيب أنتَ جاهز؟

قال حمدي بفخر:

- كل حاجة جاهزة.. مش ناقص غير نقرا عليه الفاتحة.

- قرأناها خلاص.

هَرب بؤبؤ عين حمدي على السيَّارة التي يرقد بها حمزة فعرف عصفور أنه يستفسر عن الغريب بنظرة عينيَّه:

- متقلقش.. أمان.

- توكلنا على الله..

تحرك حمدي ناحية الباب، سَند العصا الأبنوسيَّة على الحائط، وعلى القنْديل على شباك مقبرة قديم ومُتهالك، فتح بابا من البابين أصدر صرير مُزعج وسط سكوت نباح الكلاب المُترقبة، وفتح الآخر فاشرأبت الكِلاب بأعناقها من خلال الأحواش الجانبية، جَلب حمدي العصا ووقف مُنتظر عبور السيَّارات، وقفت سيَّارة عصفور في مدخل الباب، وأنزل الزُجاج، فقال حمدي:

- اقف هناك.

وأشار بيده على المكان، عبرت السيَّارات، فتحركت الكِلاب سعيًا وراءهم بنباح لَمْ ينقطع، أمن حمدي بنظره المكان، أَحضر القنْديل ثم أغلق الأبواب وضرب الأرض بالعصا في شارع التُرب وسط مقابر يمينًا ويسارًا وشوارع صغيرة تُفضي لمقابر أخرى وهكذا دواليك حتى وصل إلى المكان الذي أشار للسيَّارات بالوقوف عِنده. وقف ووضع القنديل على الأرض:

- طلع الجثة.

قالها حمدي قبل أن يمد يده في جيب الجلباب الواسع، فترجرجت مفاتيح أخرجها في يده، أدار بمفتاح منهم مزلاج باب صالة المقبرة،

فتح بابها ومَسك القِنْديل، وفرد يده المُمسكة بالقِنْديل إلى الداخل، كانت مساحة الغرفة واسعة، وورود ذابلة وزعها الهواء على الأرض، وشجرة رفيعة السَّاق تَضرَب السقف بطولها، ومَصْطَبة؛ بناء مرتفع يُجْلَس عليه، كان مفروشًا بالسيراميك.

في الاتجاه الآخر شمالًا مقبرة في الأرض مُغلقة بباب خشبي وينهال التراب على قفلها. وضع حمدي يَدَهُ مرة أخرى في جيب جلبابه.. أحضر مفتاح القِفل.. ثم اقترب من الباب بحذر، دسَّ المفتاح في القفل وقبل أن يُدير المفتاح سمع صوت في أذنه أوقف يَدَهُ عن فتح القفل:

- أنا وأنا داخل بقول السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.. أنتم السابقون ونحن اللاحقون لقيت صوت غريب بيقول وعليكم السلام ورحمة الله..

كان الصوت صوت عصفور، أغلق حمدي عينيه وقال:

- الحمد لله إن محدش طلع سلم عليك بإيده..

وسمع الجميع صوت تكة فتح القفل، فتح حمدي الباب الخشبي الصغير فأزاح التُراب، وأفضى إلى سُلم يفضي للمقبرة.

نزل درج السُلم حتى ابتلعته الظُلمة. في القاع فقد جزء كبير من الهواء، وضاق صدره كمّا تعود من رائحة القبر النَّتنة، رمال القبر

موسَّدة ناعمة الملمس.. لَمَّ الجُذاذ المُتناثرة في القبر، وحرك جسدا قد دُفن مُنذ أيام ولَمْ يَمسَّه الدود بَعد، ضمَّ عظام جثة قد نال الدود منها بمرور الوقت، وأعد بقعة وسطهم لجُثْمان حسَّان الميت.

صَعد حمدي درجتين، التقط أنفاسه عند قمَّة باب القبر، رَفع أحدهم الجثة على المَصْطَبة، فيما اختفى حمدي للحظات عاد بعدها بدلو مليء بالماء حتَّى يغسل الجُثْمان رغم عدم شريعة ما يفعل إلا أنَّه استعمل شرع الله.

عاد مرةً أخرى بكفن أبيض ألبسه للجثة، حَمَلها على ذِراعيه ونَزل بها القبر، وضعها ثم أهال عليها التُّراب.

صعد حمدي الدرج، أحكم إغلاق المقبرة بالقِفل، فأعادَها لسِيرتَها الأولى، وقف أمام عصفور الذي دسَّ رُزمة أَموال في جيب جلبابه، وقال:

– ده نصيبك.. ألف شكر يا عم حمدي.

وضع حمدي كفه على جيب الجلباب مؤمنا على الأموال، ونظر في عينيه نظرة راضية، ثم قال:

– تحت أمرك يا عصفور.

ركب الموكب السَّيَّارَات واختفى في جُنح الليل، خرج حمدي،

بعدما أغلق الحوش. وسط الطريق، طبع القِنديل ظلالا كثيرة، تخيلها حمدي، بخِلاف ظله، استشعر أن أيادي كثيرة تحاول العبث به، أشباح تود لو تتحرر فتخنق عنقه، خُيل إليه أن كل مقبرة يتسمَّر على بابها شبح، صاحبها على الأغلب، كُبِّل بسلاسل على عَتَبة المقبرة، رغم أن الكيان هُلاميّ، فحال دون حرِّيَّة التصرُّف أو الحركة، ينظروا بعينين يَتَطاير منهُما الشَّرَر، ارتعد، ولأول مرة يحدث هذا، ثم أكمل السير. بينما خيوط الصبح قد قاربت، الصَّباح دفئ وجميل، وسط روائح يعرفها زوار الجبَّانة، خليط بين عفن المتآكلين الأقدمين، ورائحة مسك المُستجدين، رائحة بين الزهور البالية والرائقة، صراط فاصل بين روائح الجنة وجحيم النار، أوراق الشجر المُتساقطة، مزيجِ روائح يعرفها الزوار جيدًّا، وبين هذا كله يمر حمدي.. الرَّجُل الكهل بين الأحواش.. لَمْ يتبق في عمره الكثير، على مشارِف الستين، في طوْرِ المَشيبِ، طَفَحَ جلدهُ، وَجْههُ مُتَغَضِّن، وخُطت عروق خضراء طفحت في رقبته.

الفصل الثامن

بعد مرور أسبوعين..

١٥:٤٨ ظهرًا..

غثيان، وزيادة بشكل ملحوظ في الوزن جعل رغبة اختبار الحمل، مع انقطاع العادة الشهرية لأسبوع، تشغل بالها، وتلح عليها كثيرًا، فرَاوَدَتْها نفسها، لتُقيم التجربة عن طريق شريط تحليل الحمل المنزلي للكشف عن وجود (هرمون الحمل - human chorionic gonadotrophin) في البول؛ وهو هرمون يوجد فقط لدى النساء الحوامل. رغم أنَّهُ سر يقبع داخلها مُنذ عشرات السنين، سر عجز عن الكشف، بعد التنقيب، عُلماء الآثار المُحدثين.. المُتسترين تحت مُسمَّى وظيفي جديد.. أطباء! فهل مَنَّ الله عليها بعد تلك السنوات العجاف؟ فتتحقق فيها رؤية المَلك وتفسير يوسف الصديق.. سنون لَمْ ينبت طفَل رغم ارتواء أعماق رَحمها، لَمْ تتفتح زهرة بعد ري الأرض طيلة السنوات الزَّائلة ووصول الماء لعمق الجدر، أفصدق القول.. مَنْ مَنَّ الله عليهِ..

بويضة واحدة مُخصبة في رحمها تكفي مع التقاء حيوان منوي وسط كثرة ملايين الحيوانات المنوية، وسيفي بالغرض.. فيجعل

الله نُطْفَةً، ثم يخلق من النُّطْفَة علقة إلى أن تصبح مُضْغَة وعظامًا يكسوها لحْمًا.. فتبارك الله أحسَن الخالِقين.

بعد تفكير شتت ذهنها.. قالت: أَضْغَاثُ أَحْلامٍ..

لكنها..

وصلت سارية الشَّغالة إلى صيدلية بالقرب من الفيلَّا، دُهشت سارية في بادئ الأمر، لعلمها بالسر، فيما لَمْ يمنع نظراتها المُتسائلة، ولا رفعها لحاجبها ثقيل الشعر عن الآخر، عن الانصياع لطلبها، فسارَعت بعد زَعَقَه مَنْ شاهيناز بتعبير وَجْه يتشنَّج:

- يلا بسرعة..

وتسارع معها ذهنها حتَّى وضعت شريط اختبار الحمل بين كف يد شاهيناز، بعد قطع المسافة إلى الصيدلية عن طريق قفزة لخارج الفيلا، وأخرى عائدة أمامها تلهث. قبضت شاهيناز على الجهاز الطبيّ الصغير بيَّنَ الكَفّ، وحملقت بعينين يضربها الاضطراب في الشاشة البيضاويَّة في الجهاز الطويل، وتخيلت الجهاز طفلا صغيرا يشبه ملامحها بشكل كبير، يرقد على ظهره فوق يديها وتهزّ فيِّه هزًا خفيفًا يمينًا ويسارًا وهي تحمله، كأن يديها صُنعت كأرجوحة صغيرة، ثم أرقَّدت الطفل واستراح نائمًا شاعرًا بالاطمِئنان.

- يا هانم..

قالت سارية فلم تنتبه شاهيناز فأعادت قائلة:

- شاهيناز هانم!

كأن مسا أصابها فاستردتْ وعيها، نظرت في عين سارية لفترة قبل أن تطلق صرخة شديدة في وَجْه الشَّغالة سارية:

- اختفي من وشي..

سمعت فانطلقت سارية زحفًا وورائها يتطاير شعرها الأسمر الخفيف الطويل الذي لطالما لُفَّ حول سبابة رشيد الجارحي بحركة تراوديَّة يعلن من خلالها أنه على أتم الاستعداد.

توقَّف الزمن عند شاهيناز للحظات، شعرت أن جميع الموجودات من حولها أصبحت في حالة سكون، وأن الأرض توقَّفت عن الحركة، فقط تسمع صوت بكاء طفل يأتي من بعيد لدقائق معدودة قبل أن يختفي. وعند اختفاء الصوت أصبحت مستعدة للمهمة، نزَعت ثيابها قبل أن تدلف باب الحمام إلا ملابسها الداخلية، وقفت عارية كأنها تؤدي طقوسا خاصة، ثم اقتربت من المرحاض، وأسقطت ملابسها الداخلية.

تسلل خيط رفيع من البول، مَدَّت الجهاز ليشم رائحته، يمس ويغمس بهِ، يدرج طفلاً في قائمته، وانتظرت حتَّى بيان النتيجة، وَضعت الجهاز على سطح حوض نظيف مستوٍ بحيث تكون نافذة

النتيجة مواجهة لها، ولَمْ يَستهوها الخروج من الحمام طَوال الخمس دقائق؛ مُدَّة ظهور نتيجة التحليل، فظلَّت مُنتظرة بفارغ الصبر حتَّى ظهر خطان متوازيان إبان إيجابية النتيجة وجلجلت كلمة (حامل - Pregnant) على شاشة الجهاز.

***

لَمْ يكُن رشيد الجارحي مرتاح البال، رغم نجاح العملية، وعدم وجود مضاعفات حتى الآن، لكن جزءًا يتمثل في عضو جديد يرقد في جسده جعلت أيام ما بعد العملية ثقيلة وغير مستقرة.

في الصباحِ أقلق نومه كابوس مروع، فانتفض يتصبب عرقًا من كابوس لمْ يجعله يذق النوم ثانيةً، ظل جالسًا في الفِراش لقرابة الساعة، محاولًا تذكر أحداث الكابوس الذي لَمْ يخرج عن قصَّة شخص ما يتربص بهِ، وعلى أغلب الظنون كان حسَّان، خلال مدَّة رقدته على السرير أشعل ثلاثَ سجائر قبل أن يُعدَّ بنفسه فنجان قهوة يصرف عنه التوتر ويقدر عن طريق نسبة الكافيين الكبيرة على أن يذهب إلى الشركة على درجة من اليقظة.

وزع رشيد الجارحي تحيات عابرة عندما تم استقباله بدوام الحال والصحة. وسئم من كثرة الأعمال التي هطلت عليه كالمطر.. أوراق للبت فيها، ومواعيد تم تأجيلها حتى موعد رجوعه معافي

إلى الشركة. الكُل في الشركة لا يعرف بالتأكيد سر العملية. أخبرهم حمزة، كما أكد عليه رشيد الجارحي، أنَّه في وعكة صحية لن تدوم كثيرًا، قد تدوم لأسبوع أو أكثر وسيعود لممارسة العمل ومباشرة المهام التي تستدعي وجوده في الشركة.

على باب المكتب وجد باقات زهور مختلفة الألوان من موظفين وعملاء وأصدقاء، دلف الباب بينما يَحسب أنَّ الأمور تجري على النَّحو السَّعيد بالنسبة لنجاح العملية، نظر في الأسفل عند منطقة البطن وتذكر حال صاحب الكلية الذي لنْ يخبره أحد حتَّى الآن ما حدث للمسكين. رَفع هاتف واستمر في الاتصال على حمزة الذي أجاب:

- يا ربّ تكون بخير يا رشيد بيه، بلغوني إنك نزلت المكتب النهاردة.. ما لسه بدري.

- أيوة يا حمزة نزلت.. مش لسه بدري ولا حاجة.. أنا كويس، وقولت أغيَّر جو البيت شوية، وأهو حتى وشوش غير الله كل يوم بشوفها في البيت.

- طيب أنا مسافة السكة هكون عندك.

- بسرعة عشان عايزك.

- في حاجة؟!

- تعالي بس.

- حاضر.

- سلام.

- سلام.

مسافة أن انقطع الخط هبَّت رنة من شاهيناز فرضخ رشيد الجارحي لزر الرَّد، وقال:

- إيه يا شاهيناز؟

- أنا عارفهة إنك كُنت محتاج الخبر دا من زمان.

- يا رب استر.

- تؤت ؤ.. قول يا رب يكمل على خير.

- في إيه يا شاهيناز انطقي..

سكتت لفترة، وقالت بعدها بحماس:

- أنا Pregnant

- امتى وإزاي؟!

قالها رشيد في حالة عدم تركيز فردَّت شاهيناز:

- نعم!!

وأكملت:

- إزاي إيه يا راجل؟!

استوعب رشيد ما قال:

- مقصدش.. قصدي.. قصدي.. حصل امتى يعني؟ وعرفتي إزاي؟

وأكد الاعتذار عندما أردف:

- أنا آسف يا حبيبتي الفرحة بس ملغبطاني..

- ولا يهمك حبيبي.. أنا لسه عاملة اختبار حمل من شوية وبليل هروح للدكتور أطمن..

- أوعى تتحركي من مكانك لغاية ما أجيلك.

- حاضر.

- مع ألف سلامة..

- مع سلامة.

لأول مرة تستشعر أنَّها زوجة، ملكة وضع التاج فوق رأسها، التاج الذي سيخرج من رحمها.. ذكرًا كان أم أنثى في كلتا الحالتين

أكد أنوثتها.. وسريان النهر في المجرى.

بالجانب الآخر كان وقع الخبر صادمًا، وغير متوقع، بَل كان مستحيلا بالنسبة لرشيد الجارحي. ترك ظهره يغوص للوراء على ظهر الكرسي. واستعاد الذاكرة، قبل سنوات، بعد شهور من الزواج، عندما تأخر حمل شاهيناز، سارع إلى الطبيب الذي قال بعدما استبد برشيد القلق:

– للأسف صعب إن مدام شاهيناز تخلف، والعيب منكم أنتم الاتنين.

ساعتها، ودَّ رشيد أنَّ يسحب حيواناته المنوية من رحمها، أن يطلق حمَّمه في عين أخرى، يوزع حيوانا منويا في أرض خصبة بدلًا من أرض شاهيناز البور. أما شاهيناز فقالت للطبِّيب: ما زلتُ آنسة.. فغشاء بكورتي سيُفض عند الإنجاب.

وفيما بعد أصبحت علاقتهما لا تطاق، كما أنهم من النادر أن يلتقيا على سرير، ولو حدث فكأنه واجب يُقضي كأن مُعلما ينتظر الأداء ليصحح لطالب النتيجة، وإن كانت النتيجة دائمًا بالسالب، وإن كان المعلم دائمًا يقذف الدفتر ويحثه على القذف داخل الأعماق.

سافرا إلى باريس، على ساحل فرنسا الجنوبي المطل على البحر الأبيض المتوسط، بالتحديد في مدينة مارسيليا، هنالك عدد كبير

من الأطباء نابغين، لكن النتيجة كانت وما زالت قبل لحظة اتصال شاهيناز منْذ قليل.. لا أبناء.

اهتز مزلاج باب مكتب رشيد فعرف أنَّه حمزة قبل أن يدلف، كانت تعلو الابتسامة وَجْه رشيد الجارحي، نهض عند دخول حمزة، لَمْلَمْ علبة سجائر ومفتاح السَّيَّارة، استغرق حمزة ثوانٍ ليسأل عن سر السعادة:

- خير يا رشيد بيه؟

- فأجاب:

- خير يا حمزة خير إن شاء الله.

حك حمزة ذقنه دلالة على التعجب، وقال:

عايزك ضروري وما شاء الله الفرحة بتنط من وشك رغم إن نَبْرة صوتك مكانتش كدا واحنا بنتكلم في الموبايل.. خير في إيه؟!

- هحكيلك أمّا أرجع.

- لما تر

جع منين.. دا أنت لسه واصل الشركة!

- أوعى يا أخي كدا ما قولتلك لما آجي!

قالها ومضى. وقبل أن يخرج من باب المكتب خطف رشيد سؤالًا لَمْ يكن الوقت مناسب لهُ:

- حسَّان عمل حاجة أو عرف حاجة؟!

- حسَّان البقاء لله..

قالها حمزة وجلس على الكرسي ثم أردف:

- إنه يُسأل الآن.

تَسمرت ساق رشيد الجارحي عند باب المكتب. اتسعت عيناه ووقف لثوان يستعيد ما قاله حمزة، رجع خطوات للخلف، ثم أغلق باب المكتب بحرس وهو يتأكد من عدم سماع أحد ما قيل، ثم قال:

- أنا مش ناقص شوشرة أكتر من اللي أنا فيها.. كفاية عليا العيون اللي كل شوية بتتفتح..

- متقلقش.

الصدمة جعلت رشيد ينسى أمر شاهيناز، فصبَّ الاهتمام لما سمع، واقترب من المقعد وجلس، ثم سأل:

- إيه اللي تم بعد موته!!

أجاب حمزة:

- متقلقش يا رشيد بيه.. جثته مش هيكون ليها أي آثر.. رجالتك شايفين شغلهم.

- والعيال اللي كانوا معاك ضامنهم؟

- معتقدش حد فيهم هيفتح بوقه.

- ليه يا حيلتها؟

- صرفت عليهم كتير.

- بعزق في حاجة زي دي..

- متقلقش مش ببخل عليهم.

رغم القلق الذي سيطر على رشيد وقت جلوسه مع حمزة وسماعه الخبر إلا أنه سريعًا ما استعاد الفرحة مرة أخرى، فودع حمزة مؤكدًا أن يحدثه لو استجد شيء. ترك كل شيء خلف ظهره وتفاءل ببشرى سارة. توقع في بداية الأمر أنَّ الحياة بدأت في الاكتمال، الولد أو حتّى البنت التي سوف تحمل اسمه هو العوض الكبير، فصعوبة الزيجة الثانية كانت بالأمر من والد شاهيناز الذي يستطيع أن يخسف بِهِ الأرض مثلما حلق به.

شق رشيد الطريق وهو يقود السيَّارة ويدخن السِّيجارة الذي قام بإشعالها بواسطة قداحته النُحاسية، ووصل في دقائق قليلة إلى

الفيلا قبل أن تتلف السِّيجارة ويصل إلى فلترها. فكان أثناء الطريق يترجى وقت وقوف الإشارة الحمراء، فأرهقه عد عداد ثواني الإشارة التي كانت لها حسبة السنين، وخالَفَ بعضها الآخر إن كان تقاطع الطريق خاويًا، وحدث نفسه ألَّا يستعجل حتَّى تأتي النَّتائج الصَّحيحة من العيادة بدلًا من الاعتماد على جهاز تقليدي.

وعندما وصل إلا الفيلَّا كان ملهوفًا ويظهر القلق عليه، استقبله الكلب لاهثا وهو ينبح ويجري خلف رشيد في الحديقة، دخل إلى غرفة شاهيناز فوجدها على السرير. وقف عند الباب بعيون تلمع إثر اغروراقها وأذن سمعت نداءها يأتي لَيِّنا وعذْبا:

– رشيد.

فردَّ رشيد الجارحي بابتسامة خفيفة وهو يقف عند باب الغرفة:

– نعم يا حبيبتي!

– مبروك يا حبيبي!

– اتأكدتي؟

– هزَّت رأسها بدلال وأكدت قائلة:

– اتأكدت.

تيقظت أذن رشيد الجارحي إلى الصَّوت الرخيم، فاقترب منها

وهي تقول:

– هتسميه إيه؟

– ولو بنت!

– هتسميها إيه؟

– لما ربنا يقدر نوع اللي في بطنك الأول نفكر في الاسم.. بس لو ولد زي ما بتمنى هيكون اسمه خالد.

– ليه خالد!

– عشان معنى الاسم.

قالت باهتمام:

– ومعنى الاسم إيه؟

نظر نظرة راضية واستطرد:

– دائم وباقي، مقيم وثابت في مكان الخلود طول العمر.

سكت لثوانٍ ثم أردف:

– خالد في الأرض..

***

قبل أسبوعين..

يجلس أدهم على الأرض، فيما يسند ظهره على فراش زوجته في غرفة العناية المركزة، تسقط الدموع على صفحات المصحف بينما صوته يعلو خاشعًا بتلاوة القرآن طالبًا مِنْ الله اكتمال شفاء ماجدة، ورد أشرف من غيبوبته، ويدعو إلى الفقيد يونس أن يتقبله الله في واسع رحمته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. ليلة أمس حدث كل شيء سريعًا فأوراق تصاريح الدفن والأمور الأخرى مَرَّت في ساعات، ورغم ذلك لَمْ يستطع أدهم أن يأخذ عزاء ولده ويستقبل الناس، لعدم ترتيب المراسم اللازمة، وفي حقيقة الأمر انشغل بالقابعين في المستشفى وخاصةً أن أشرف بين الحياة والموت. لكن أكثر شيء انخلع قلب أدهم من قسوته أن زوجته لَنْ تقدر على تشييع جثمان يونس، كما أنها لَمْ تلحق في خطف نظرة وداع ولدها قبل أن يذهب إلى مثواه الأخير.

في عز اندماج أدهم في القراءة قطعت الممرضة تَرتيله للقرآن عندما دلفت الباب وقالت:

- لو سمحت يا أستاذ أدهم ممكن دقيقة؟

تمتم أدهم آية ختم بها القراءة، وظلت لثوان مغمض العينين قبل أن ينظر للممرضة:

- حاضر يا بنتي.

وضع المصحف على الكومود وتبع الممرضة إلى الخارج، في الممر انتظرت الممرضة بارتباك بدا عليها، حاولت أن تتمَاسك أمام أدهم الذي فهم الأمر، فقالت الممرضة قبل أن ترحل:

- أنا عايزاك تتمَاسك عشان خاطر حالة زوجتك.

صمتت لحظات تأمَّلته بعينين حزينتين:

- البقاء لله.. أشرف في ذمة الله..

واختفت من أمام عينيه وقد سكن الحزن ملامحها. أما أدهم تسمَّر في مكانه، وظهرت على ملامح وَجْه الصَّلد ملامح، لا يتكلم، لا يتحرك، ولا حتى يرمش، واقف كمسلة تضرب السماء، فقد القدرة على التعبير، واختفت المشاعر ظاهريًا لكن ثوان قليلة واستوعب ما قبل فدارت الدنيا من حوله، وتكتَّلت الدموع في عينيه، ولَمْ تستقر على جفونه ثوان حتَّى انهمرت حارة على خديه قبل أن يسقط مغشيًا عليه في الحال.

في الصف الأخير يمشي هائمًا، كأنَّه لَا يَعْرف إلى أيْن هو مُتَّجه. لَمْ يقوَ على حمل النعش. تنساب الدموع ببطء على عظام الوَجْه البارز إثر فقد كيلوجرامات من الوزن في الأيام الأخيرة جعلت عِظام جسده تبرز. وبدأت أفكار تتبلور في ذهنه، أهمها كانت فكرة

الانتحار.

عندما وصل النعش إلى الجبَّانة كان الصخب عاليًا من حَشد كبير وسيَّارة إسعاف وشرطة أمام حوش مدفن يونس وأشرف، عند اقتراب جثمان أشرف وقف الناس متسائلين. أفاق أدهم وترك أفكاره حاليًا كي يستفسر عما يحدث. دفع أكتاف الحشد لينجح في المرور والوصول إلى باب صالة حوش المدفن، مُنع في البداية من الدخول قبل أن ينتبه ضابط الشُّرطة ويتجه إليه فانتهز أدهم الفرصة وسأل:

- هو في إيه يا فندم؟

سحب الضابط نفسًا من السِّيجارة وردَّ:

- حضرتك مين؟

- دا مدفن عائلتي.. ابني ميت واتدفن من يومين وابني التاني هيتدفن دلوقتي..

تعجب الضابط فاسترسل أدهم شارحًا:

- أنا والعائلة عملنا حادثة والأولاد محدش فيهم عاش.. يونس اتدفن من يومين.. وأشرف لسه متوفي الصبح وهيتدفن حالا..

- البقاء لله يا أستاذ أدهم.. أنا عارف إن الوقت مش مناسب

لكن ضروري هستأذنك تشرفنا بأقوالك بعد ما تدفن ابنك؟

برزت الحيرة على ملامح وَجْه أدهم وهزَّ كتفيه بحركة تنم عن عدم فهم مجريات ما يحدث:

- أقوالي في إيه يا حضرة الظابط؟! مش لما أفهم الأول أنتم هنا ليه وإيه اللمَّة دي وحصل إيه؟!

- تعرف حمدي؟

- التُّربي؟ اه هو اللي دفن يونس.. وكلمته عشان يجهز المقبرة عشان أشرف.

رن الكلام في أذن الضابط، توقع أن يأخذ دليلًا واضحًا وصريحًا، ركز في حديث أدهم، فخلع نظارة الشمس وقذف السِّيجارة على الأرض وهو يعطي تركيزه كاملًا لكلام أدهم الذي أردف:

- هو حمدي حصـ...

قبل أن يُكمل قاطع الضابط حديثه قائلًا:

- اللي فهمته دلوقتي من كلامك إن حمدي التُّربي كان بيجهز يفتح القبر لابنك التاني.. مظبوط كدا؟!

- بالظبط يا فندم.. أنا كلمته عشان يفتح القبر ويجهز كل حاجة..

– تمام.. تمام.

قالها الضابط بهدوء قبل أن يُكمل:

– للأسف هو اتقتل.. واللي قتله في القبر.. تقريبًا كدا استغل فرصة إنه تحت في العتمة ومحدش هيشوف حاجة فدخل وراه وقتله وسابه تحت في القبر سايح في دمه.

الفصل التاسع

بعد مرور سنة..

حديقة الفيلَّا سَاحَة واسعَة مربعة ممتدة، تضرب الشمس المنطقة الجنوبية منها فتلمع خضرة الأرض، ويطفو السُّكُون على مياه حمَّام السِّباحة الرَائق، صُفَّ حول طاولة دائرية زجاجية مقاعد بلاستيكية مساندها القطنيَّة ذهبيَّة. وغرفة في الوجهة الأخرى من الفيلَّا بها شاشة تلفاز ٣٠ بوصة مقسمة لأربع واجهات كل واجهة تبث منطقة معينة عن طريق كاميرات نصَّبَت على أسوار الفيلَّا في كل الاتجاهات، فضلًا عن أنَّ بعض العاملين ينامون فيها.

وبينما سارية الشغالة تُحلق على الطفل في الحديقة، زَحف خالد رشيد الجارحي عندما لمح والده قادما من بعيد فاقترب ناحيته ووثب بين يدي رشيد الجارحي الذي قال:

- عامل إيه يا بطل؟

تمتم الطفل بكلام هيروغليفي لا نفع في التركيز فيه، وصاح رشيد الجارحي قائلًا:

- إيه أخبار الولد يا سارية؟

توجَّهَت سارية إلى رشيد الجارحي عندما سمعت ما قال وكان يغلب عليها الإنهاك وهي تردُّ:

– بخير يا رشيد بيه.. يكش هو مغلبني بس شوية لكن تعبه راحة.

ترك رشيد الطفل على الأرض يلهو في الحديقة وتوجَّه بالسؤال إلى سارية:

– شاهيناز فين؟

– جوة يا رشيد بيه.

مدَّت سارية يدها لتلقف خالد رشيد الجارحي من الأرض وأردفت:

– أحضرلك الغداء يا رشيد بيه؟

– لا يا سارية.. شكرًا.

– العفو.. أنا هدخل الولد ووقت ما تحب تاكل قولي وأنا أجهزلك الأكل.. تطلب مني حاجة؟

هزَّ رشيد الجارحي برأسه نافيًا، وقبل أن يمضي رشيد خطف نظرة لملامح شخص ضربه بنظرة برق وهو يعبر موازيًا لباب الفيلَّا الحديدي ويخفي رأسه عن طريق شيء يشبه القلنسوة ظهرت من

خلالها جزء صغير عندما نظر له، فكان جزءًا صغيرًا لرأس حليقة يعرفها جيدًّا. ركض الجارحي سريعًا نحو الباب، فهب منصور خفاجي الحَارس وراء رشيد الجارحي. فتح الباب الحديدي وراح ينظر يمينًا ويسارًا لكنه لَمْ يجد أحدا. توقَّف منصور خفاجي من الركض عندما اقترب من رشيد الجارحي، وقال:

- في إيه يا بيه؟

- مفيش حاجة يا خفاجي.

مَسح رشيد الجارحي المنطقة المحيطة بنظرة ثاقبة في كل الاتجاهات ثم سأل:

- مشوفتش حد عدا من هنا يا خفاجي؟!

- لا مخدتش بالي والله يا رشيد بيه.. بس ممكن نبص في شاشة الكاميرات لو عايز تتأكد.

نظر رشيد للغرفة الموجود بها الشاشات وقال:

- تعالى ورايا.

عندما وصل رشيد الجارحي لغرفة المراقبة، حسب الفاصل الزمني بين مشاهدة الشخص إلى الآن، رجع بشريط الفيديو حتى اللحظة، وترقب ظهور الشخص على الشاشة، اتسعت عيناه عندما

ظهر في الكاميرا من مسافة بعيدة في آخر الشاشة، اتسعت عيناه عندما ظهر في الكاميرا من مسافة بعيدة في آخر الشاشة، لكن ملامح وَجْه الشخص لَمْ تكن ظهرت بعد، وعندما اقترب رفع وشَاحا على مقدمة رأسه ووجهه فلم تضح الرؤية في الكاميرا، كَأنه درس المنطقة والفيلَّا جيدًّا. اشتَدَّ غضب رشيد وأعاد المقطع كثيرًا، وفي كل مرة يدقق في ملامح الشخص من بعيد قبل أن يختفي ويضع القلنسوة. في النهاية يئس رشيد فحفظ الفيديو على بطاقة ذاكرة ومضى.

***

بعد حادثة الحديقة بساعة ونصف غادر رشيد الجارحي الفيلَّا، أخبر حمزة باتصال أن ينتظر في المكتب حتَّى قدومه، عَبَرَ رشيد باب الشركة دون أن يلتفت لأحد، وقطع مسافة كبيرة بسرعة أكبر، وتظهر تكشيرة على وَجْه رشيد تدل على قمَّة الغضب الذي يستولي عليه.. كأنه ثور هائج ما إن يلمح قطعة قماش حمراء حتى يسرع إليها هائجًا. دلف باب المكتب والدم ينفجر مغيرًا لون وَجْهه إلى الأحمر، ثم قذف المفتاح على زجاج المكتب فتشعب متكسرًا، فيما حاول حمزة الحد من الغضب الذي استحوذ عليه:

– مالك يا باشا في إيه بس؟

- أنت متأكد أن حسَّان مات؟

حازت الحيرة على حمزة، وظل للحظات يتذكر قبل أن يقول:

- حسَّان مين؟!

- حسَّان يا بني آدم أنت مش فاكره!!

- حسَّان.. حسَّان.. ح..اه اه مش الواد اللي مات.. اه فاكره.. ماله؟

- هو أنت متأكد إنه مات؟!

- تحت عيني وبإيد عصفور.. لو مش مصدق أكلمهولك!

- إزاي؟!

- إزاي إيه يا رشيد بيه.. هو إيه اللي حصل؟

دبَّ رشيد الجارحي بقبضة يده على زجاج المكتب، وجزَّ على أسنانه بينما تتساقط قطرات دماء من قبضة يده تسببت بها قطعة زجاج نشبت بها واتسعت عيناه بغضب وهو يقول:

- أمال أنا شوفت مين؟!

- شوفت مين إزاي؟.. أنا مش فاهم حاجة.. ما تفهمني بالراحة!

تمالك رشيد نفسه وقال:

- أنا شوفت حسَّان.

- أنت شوفت حسَّان؟

- اه.

انفلتت ضحكة ساخرة من حمزة، لكن اتساع عين رشيد جعله يتمَاسك:

- يا رشيد بيه دي تهيؤات.. يا رشيد بيه حسَّان مدفون تحت عيني.. أنا كنت معاهم وهما بيدفنوه.

- أمال أنا شوفت مين بس!!

- يخلق من الشبه أربعين.

وضع رشيد الجارحي بطاقة الذاكرة في اللاب توب.. فتح الفيديو.. أدار شاشة الجهاز لحمزة الذي شاهد شخص التقطته الكاميرا وهو يمر:

- طيب دا مش باين منه حاجة.. شخص عادي ماشي في جمب الفيلَّا!

- أنا شوفته وهو بيبصلي..

- يا رشيد بيه متقلقش.. والله العظيم ما هو.. والله العظيم مدفون تحت عيني واتقفل عليه وكان قاطع النفس خالص.. يعني أنت هتكذب الدكتور وعيني وعصفور اللي دفنه مع التُربي!!

ضبط رشيد الجارحي أعصابه، استمَّر ذهنه في التفكير لدقائق جلس يفكر فيهما:

- يلاد لوقتي حالًا على التُربي.. مش هيهدالي بال إلا لّما أتأكد منه.

- حاضر..

في لمح البصر كان رشيد يقود السيَّارة رغم أنه لم يكن رائق البال، يجلس حمزة معه في السَّيَّارة بجانبه. قطع رشيد مسافة لا تتعدى كيلومتر حتَّى توقَّف وجعل حمزة يقود السَّيَّارة بسبب الحالة السيئة والمزاج المتعكر الذي كان يعانيه، وعند الجبَّانة، نزل حمزة وتبعه رشيد الجارحي في عتمة الليل. استمَرَّ الاثنان في المشي حتى مصباح يشع ضوءًا أصفرًا معلق على سقف غرفة حمدي تربي الجبَّانة، وقف حمزة ورشيد أمام الغرفة، ثم رَفع حمزة صوته عاليًا لينادي على حمدي التُّربي وهو يطرق على باب الغرفة:

- عم حمدي.

دَبَّت حركة عجيبة في الداخل عندما صَرع الرَّجُل والمرأة من

فوق بعضهما. ولطمت خديها وبأن الخوف والتوتر عليها، لملمت أشياءها، ثم نزلت تحت الأريكة، فيما ذهب ليفتح الباب العجوز الساكن الجديد. فرأى رشيد وحمزة رجُل آخر غير حمدي. قصير، وَجْهه مُجَعَّد، كثيف الشَعْر، ولحيته شعثاء. قال وهو يهندم جلبابه النجس:

- أي خدمة يا أفندم؟

تأمل حمزة المكان قبل أن ينظر إلى رشيد ويرَفع كتفه، ثم سأل:

- فين عم حمدي؟

ركز الرَّجُل في عين حمزة وأشار بيده وهو يقول:

- شايف الحوش الأول دا..

أومأ حمزة بالإيجاب:

- سيبه وخش الحوش التاني على إيدك اليمين هتلاقي قبره.

حاول حمزة أن يتذكر ما سمع:

- قبر مين!

تدخل رشيد مُقاطعًا حمزة، وقد بدا التوتر يظهر عليه:

- مش قولتلك.

- أنتم مش عايزين قبر عم حمدي!!

تبادل حمزة ورشيد النظر مرة أخرى، ثم قال حمزة برهة:

- هو مات!!

- اه من فترة.. لقوه ميت مقتول.. ومعرفوش عن اللي عمل العملة دي أي حاجة لغاية اللحظة اللي إحنا بنتكلم فيها دي..

رَجع رشيد الجارحي للسيَّارة تاركًا الرَّجُل وحمزة الذي قال للعجوز:

- طيب تشكر يا حج.

أشعل حمزة سيجارة عند العودة إلى السَّيَّارة، جلس بجوار رشيد الذي قال:

- صدقت؟!

خرج دخان السيجارة من فم حمزة أثناء قوله:

- يا رشيد بيه أصدق إيه!! هكدب عينيا يعني!! وبعدين موت حمدي مش يعنيني في حاجة.. كلب واتقتل.. بتحصل كتير.. إيه دخله بموضوع إن حسَّان رجع من الآخرة!!

صرخ رشيد الجارحي وَجْه حمزة:

- منا مش بيتهيألي..

لَمْ يرد حمزة، طبع الصَّمت بينهما علاوة على صمت الجبَّانة. وفي ظل الهدوء قذف رشيد السِّيجارة على الأرض وأردف:

- اطلع بينا على الفيلَّا.

ومنذ اللحظة وكل الوجوه في نظر رشيد الجارحي تُنتسب لحسَّان، مس مِنَ الجنُونِ فبدأ يرى الوجود حسَّان، في بعض الأحيان يهرب بالسيَّارة كأن سيَّارة أخرى تُطارده ليكتشف في نهاية الأمر أنَّ أنثى هي التي تقود، فكرة أن حسَّان حيّ تسيطر على خلايا عقله، تدفعه للبحث في وجوه البشر.. عن كيفية ظاهرة موت وبعث حسَّان؟! أصبح في حالة من الشك حتَّى مع المقربين لديه، في كلِّ مرَّة يذهب إلى الشركة يضطر قبلها للعروج إلى طبيب نفسي يمحور حسَّان داخل قصة من نسج خياله يقصَّها عليه، المهم ألا يحكي للطبيب أنَّه قاتل ومغتصب أعضاء بشرية، فيحبُك قصَّة يجعل حسَّان بطلًا فيها، ويسرد للطبيب شخوص وهميين، يعالج الحبكة كروائي، ثم يركز على حقيقة موت حسَّان وظهوره في حياته الشخصية مرةً ثانية بعد وفاته حتّى يصل للجزء الذي حضر القصَّة من أجله، فيسأل الطبيب عن ظاهرة مَوْت وبعث حسَّان!

في ليلة كان يجلس في الغرفة، سَمع صراخا مصدره باحة الفيلّا

الواسعة، مَشى بحرص بمَمَرّ ضيِّق يشبه الطرقة حتَّى البَهو. لَمْ تتمَالكه الصدمة عندما وصل ووجد ثلاثة جثامين مضرجين في دمائهم، شاهيناز، سارية، خالد. وبقع الدم تملأ المكان. وفجأة قفز من الخلف حسَّان بسكينة دبح بها رقبة رشيد الجارحي قبل أن يستيقظ مفزوعًا من الحُلم.

جَرت الأيام على رشيد الجارحي ثقيلة، تحطَّمت معنوياته وتدهورت حالته النفسيَّة، ساورتْهُ الشكوك، الهَموم. وصَارعَتْه الهوَاجس. يراهُ في الواقع، ويحلق مع رشيد في المنام. حتَّى فقد اتزانه وبدأ يهذي ويُردِّد: وَمَا قَتَلوهُ وَمَا صَلَبوه وَلِكن شُبَّهَ لَهُمْ..

ثم مرَّت أيام أخرى حتى أفْصَحَ لزوجته، قَصَّ قصَّة الخبل الذي أصابه، وظل يؤكد أنَّه بخلاف الأحلام يراهُ في الواقع حَيًا يرزق. نَصَحَتْ شاهيناز زوجها أنَّ السيد الحسيني هو الحل وعَلَّلت عجز الطب النفسي عن العلاج فبرَّرت حجتها أمام زوجها حتَّى وافق على مَضَضٍ.

اتصلت شاهيناز بالحسيني تخبره أنها في أمس الحاجة له، ردَّ عليها في الحال أنه تحت أمرها في أيَّ وقت، لكنها غيَّرت دفة الحديث وتوجَّهت بالكلام عن رشيد وشرح ما يعاني دون الدخول في التفاصيل المهمة، ولا حكي وقائع ما حدث بالتحديد،

قالت في الهاتف أن الأمر خطير ولا يجوز التحدث عبر الهاتف مطلقًا، واستسمحت الحسيني أن يكون حاضرًا للأهمية في خلال ساعات.. وهو ما قوبل بالموافقة، وجعل السيد الحسيني يسخر من رشيد ولجوئه إليه بعدما أغلق الخط مع شاهيناز.

***

بعد ساعتين من الاتصال..

في الحديقة كان يجلس السيد الحسيني على مقعد مريح فور وصوله إلى الفيلا، انتظر ربع ساعة ارتشف فيها فنجان قهوة أوصى بها الشغالة منتظرًا قدوم رشيد الجارحي. كان الهدوء سائدا والجو بديعا، وفوق رأس الحسيني يتلألأ الشِّعرَى اليَمَانيَّة أسطع النجوم في السماء ليلًا، مُتألقًا في نطاق الضوء المرئي في الفضاء. شرد الحسيني في انعكاس صورة الشِّعرَى اليمانِيَّة على مياه حَمَّام السِّبَاحَة للحظات حتى ظهر خيال شخص يتموَّج على مياه الحمام، فالتفت الحسيني وقال:

- إزيك يا جارحي بيه؟

- بخير الحمد لله.. أو حمد أي حاجة بتعبدها.

- لا إله إلا الله.. أنت هتكفرني ليه بس..!

- بقولك إيه أنا مش عايز لف ودوران.. أنت تسمع مني الحكاية من الأول للآخر وأنت ساكت.

أؤمأ الحسيني برأسه موافقًا:

- مع إني عارف إن الهطل ده ممنوش فايدة

- اتفضل احكي..

أخذ رشيد نفسًا عميقًا وهم أن يبدأ لكن الحسيني قال قبل أن يحكي:

- من غير ما تنسى تقول حاجة يا رشيد بيه... اعرف إن كل كلمة هتخبيها هيكون ليها عواقب كتير.

- حاضر.

قالها السيد الحسيني ثم أسهب الجارحي في حَديثه. قصَّ كل شيء عن ظهور عن مقتل حسَّان وعلاقة حسَّان بالجَارحي نفسه وظهوره، ولَمْ يحذف حرفا ولا بدل موضع الكلم. وعندما انتهى قال السيد الحسيني:

- لازم تشرفني في يوم.

- موافق.. المهم يكون مكان غير اللي بتقابل فيه الناس.. مش عايز حد يلمحني.. فشوف مكان تاني.

- موافق.

***

خرج رشيد الجارحي في الليلة التي حددها السيد الحسيني بملابس تصد لسعة البرد الخفيفة، يَحمل عَيِّنَة دماء ترتفع ٢ سم في أنبوب زجاجي طويل ورفيع. كانت لخالد كمّا طلب السيد الحسيني؛ أن تكون عَيِّنَة الدم من صلبه. تَعَجَّبَ عندما وصل للعنوان. وطلب من فرد البودي جارد الانتظار بالخارج.

البَيْت متطرف على طريق سريع لقرية ريفية. لَمْ يكُن شكل المنزل عاديًّا. السَطح مائِل، كمّا أنَّ الْبَيْت يَقُوم على عُمُد خشبيَّة، ويَلمع وسط الظلام الثقيل زجاج نافذة لدور ثانٍ أخير. دلف رشيد الجارحي من باب خشبي صغير يَسع شخصا واحدا ويصدر صوت صرير مزعج. ضرب ضوء مفاجئ عينيه فضيِّقها ثم فتحها ليتفحَّصَ سقف المنزل بنظرة من الداخل، فوجد تماثيلًا لصقور ورؤوس كباش محنطة معلقة على الحائط. يعبر ضوء القمر خلال ثقوب في السقف الخشبي، فتلمع، خيوط كثيفة لأعشاش عناكب عَشَشْت منذ مُدَّة طويلة، ويسكن القمر ثقبا دائري بحيث يكون منظر البدر الدائري على مقاس الثقب. وهَسيس الظلام يختفي لفترة ينشأ فيها حفيف الرياح.

دوَّر رشيد الجارحي رأسه فارتعدت أطرافه من مَنْظَر كبش سمين، عظيم ذي فرْوة حمراء اللون، مربوط من قرون مُلتف حلقات في سَّلَبَة مُعلقة في مسمار دُقَّ بالسقف. أسفل الكبش طَسْت من النُحاس سقطت فيَّه الأحشاء من بطن الكبش المفتوحة، ويقبع خلفه كرسي خشبي يجلس عليه السيد الحسيني.

- نوَّرت.

قالها السيد الحسيني فأومأ رشيد الجارحي مرحبًا:

- كُنت عارف إنك في يوم هتحتاج لـ..

قاطعه رشيد الجراحي قائلًا بحدَّة:

- مش عايز شعل الدَّجْل دا الله يخليك.. شغل الألغاز دا أنا مش ناقصه..

وجاي لدجال ليه؟!

- يمكن يكون عندك حل.. لكن أمّا تقولي حِكم وتكلمني كلام كله ألغاز هيكون شكلك أهبل جدًّا صراحة.

قهقهَ السيد الحسيني بِصْوتٍ عالٍ، وهزَّ رأسه مُشيرًا لكرسي بينما يقول:

- طيب اتفضل.

زفر رشيد الجارحي بضيِّق، ثم هم للجلوس أمام الحسيني:

- أظن أنا عرفتك كل حاجة وجاي على الحل.

صمت للحظات ثم أردف:

- عندك حل؟

حرك السيد الحسيني رأسه بثقة وهو يقول:

- عندي..

- وإيه هو!

- جبت الطلب؟!

أخرج رشيد الجارحي عَيِّنَة الدم من جيب المِعطف. اقترب من السيد الحسيني وَوضع الأنبوب في يده:

- اتفضل

استل السيد الحسيني خنجرا هلالي الشكل من جراب بني. أمامه جردل بلاستيكي صغير به كلى الكبش، بضربة ثقب فتحة في النصف، ثم عمق الثُقب بالخنجر، أخَذ أنبوب عينة الدم ودسَّها داخل عمق الجرح، ثم صبَّ ماءً أحمر قانيا، وبخيط وإبرة ضمَّد الجُرْح، وكتب على أوراق بردي كتابة باللغة السَّريانية:

وبدأ يحرك شفتيه هامسًا كلاما غريبا، في آخر الصالة تجمَّعت بؤرة دخانية عبر من خلالها خادم كأن البؤرة بوابة زمنيَّة، اقترب الخادم حتَّى وقف أمام السيد الحسيني الذي ناوله الكلية وقال:

- في قبر المذكور تدفن معاه.

اتسعت عيون رشيد الجارحي الذي رَهب من الموقف، فيما استلم الخادم العهدة، ثم رَجع حتَّى دخل وسط الدخان فتلاشي مع تَبَدُّد الدخان.

قام السيد الحسيني من مكانه، فتح صنبور حوض مياه وقال وهو يغسل يديه:

- يومين وهكلمك..

جفف السيد الحسيني يده وودع الجارحي بهزَّة من رأسه.

ترددَّت خطوات رشيد الجارحي وهو يغادرِ المنزل، ونظر نظرة أخيرة على المبني ثم ذهب مع البودي جارد المُنتظر. من بعيد كان يترقب حسَّان، يخفي وَجْهه بوشاح يتطاير مع هبات الريح، ويتابع الموقف خلف ساق شجرة كافور غليظة توارِي جسده الهزيل بدروع أوراق وفروع الشجرة العملاقة.

***

رَجع حسَّان إلى الغرفة التي تعزله عن العالم منذ أن خرج للنور مرة ثانية، في البداية كان الشارع مصير حسَّان ليجمع أكبر قدر من المعلومات عن جميع الشخوص الذين جعلوه ينام جوار الأموات مما جعل قلبه صلبا وأسود متفحماً.

ودَّ حسَّان أن يكون اللقاء قريبا حتَّى يشكرهم على رحلة اليومين داخل القبر والخدمة الخمس نجوم التي تلقاها هناك. ويقسم أن الحساب الذي كان سيتلقاه لو كان تأخر فتح المقبرة سيكون عسيرا. تأمل حظ الجارحي ورفقائه العشر أن يكون هناك ميتا جديدا في نفس التربة التي دُفن فيها فيرسل أهله أول صيد (حمدي الترُّبي) ليجهز التربة ليكون حسَّان في الانتظار، ويقهقه على الدكتور طه الذي أخطأ عندما توقع فناء حسَّان وموته نهائيًا ولَم يكُن يتوقع أنَّه إكلينيكيا لكن الله يُحْيِي وَيُمِيتُ وهُو على كُلَّ شيء قدير.

قام حسَّان بحلق شعر الذقن والرأس من الجدور، فرجع إلى سابق عهده من حيث الشكل، وتوقَّف أثناء سيره أمام جدار الغرفة يتآمل ملامح كل من شارك في دفنه ليومين داخل المقبرة، يضيَّق عينيه على صورهم الملصوقة على الحائط. اقترب حسَّان أكثر من الحائط وهو ينظم أنفاسه، ويمرر عينيه على الكلام المكتوب أسفل كل صورة:

- رشيد الجارحي.. رجل أعمال معروف نسبيًا. صاحب الأمانة اللي مش هسبهاله في جسمه طول ما أنا على وش الأرض.

- دكتور طه.. دكتور في المستشفى الصبح والعيادة بليل.. عيادة شمال وهو اللي عملي العملية.

- العقل المدبر.. شيطان الإنس.. حمزة إيد رشيد الجارحي اليمين.

- عصفور.. راس الحربة اللي نفذ كل المطلوب.

الفصل العاشر

نِظام غذائي صحي جعل جَسد رشيد الجارحي قوي العضلات. يستيقظ في الثامنة صباحًا ليمارس رياضة الجري لمدَّة ربع ساعة قبل أن يذهب لصالة جيم أعدها في الفيلَّا ليمرَّن عضلات جَسده، ثم يستلقي على الشيزلونج أمام حمَّام السِّباحة بعدما يغطس فيِّه.

تَرَجرجت مياه حمَّام السِّباحة إثر صعود رشيد الجارحي من الحمَّام على رَنَّ الموبايل، وقف على حَافة الحمَّام فانطلق يجفف جَسد الجارحي الصَلْب:

– إزيك يا رشيد بيه؟

– نعم؟

– عندي أخبار مش كويسه.

– مش فضلك.. اخلص!

– أنا بس عايزك تعرف إنه ممكن يكون سوء فهم أو حاجة فحاول تتأكد أنت بنفسك..

– لو موفرتش رصيدك هقفل السِّكة في وشك.

- عيِّنة الدم مش من صلبك.. والعَمَل مش هينفع غير لمّا تكون عيِّنة الدم من دمك زي ما قولتلك.

- يا بني آدم أنت عيِّنة الدم لخالد ابني.

- يبقى مش ابنك.

- أنت بتقول إيه يا ابن.....!

عم الصَّمْت لحظات قبل أن يتحدث السيد الحسيني:

- اهدا يا رشيد بيه.. مش عايز دماغك تودي وتجيب.. أنا مقصدش خالص أشكك في السِّيدة الفاضلة.. يمكن بس في سوء فهم في الموضوع.

كان دليل توقف الزمن عدم سماع صوت عقرب السَّاعة السويسريَّة المضادة للمياه في يد رشيد، حَملق للموبايل محاولًا استيعاب ما يقول، ثم أغلق السِّكة في وَجْه الحسيني قبل أن يرتدي ملابسه ويأخذ خالد إلى معمل تحاليل في الحال حتَّى يخْمد الحُمَم البُركانيَّة الثائِرة في صدره.

***

اليوم التالي..

٣:٠٠ فجرًا..

- عصفور.. عصفور..

تحرك عصفور:

- اصحى..

اعتدل حتى استلقى على ظهره، حاول فتح جفونه مقاومًا استكمال نومه العميق، ثم دَعك عينيه حتَّى تتضح الرؤية، وسط ظلام الغرفة الثقيل، وقبل أن ينهي كلمة:

- مين؟

كان قد بترها حسَّان بضربة على جَبْهته بواسطة مؤخرة مُسدس فأغشي عليه في الحال، ثم دسَّ سرنجة في دمائه.

في وسط الصحراء وصل حسَّان بسيَّارة وفي الخلف يرقد عصفور مربوط ومعصوب العينين. وبحبل سميك نسبيًا وضع بين فكيِّه ومعقود خلف رأسه يمنع الصُراخ لو استرد وعيه.

أعطى حسَّان مؤخرة السيَّارة التي يقودها مؤخرة سيَّارة أخرى سوداء تركها في وضع (التعشيق) وسط الصحراء بحيث يكون وَجْه كل سيارة في اتجاه آخر. نزل حسَّان من السَّيَّارَة وحَمَل عصفور فوق كتفه مرتديًا قفازا أسود سميكا، ثم وضعه بين السَّيَّارتين. أخرج سلبات قوية كالتي تستخدم في ربط البهائم في الحظائر من

كبوت السيَّارة وربط يد عصفور اليمين بطرف والطرف الآخر في مؤخرة السيارة (المعشقة) وبسلبة أخرى ربط يد عصفور الشمال والطرف الآخر في مؤخرة السيَّارة (المعشقة).

وسلبة ثانية ربط مقدمة ساقه اليمين بطرف والطرف الآخر في مؤخرة السيَّارة المتحركة التي جاء بها وبنفس الطريقة في الساق اليسري.

رَكب حسَّان السيَّارة وتقدم خطوات بسيطة بحيث يرتفع عصفور عن الأرض ويصبح كحرف ال X كل طرف من اليد والساق مربوط في مؤخرة السيَّارتين وهو في الوسط بينهم.

نَزَع ينتظر حسَّان أن يسترد عصفور وعيه كان يسمع موسيقى كلاسيكية تتصاعد من مسجل السيَّارة، وبين أصابعه سيجارة يُبدِّد دُخانها في العَراء، ساعتها بدأ عصفور يستشعر ما حوله، فتح عينيه على خيال حسَّان في الظلام الحالك، ثم نظر جهة اليمين واليسار على يديه وساقه المكبلين قبل أن ينظر إلى الأرض التي يطير فوقها. اهتزت عينيه وملأ الخوف فيهما، وفزع بهستيرية عندما وجد نفسه مكبلا وسط سيارتين تستعدان لنزع ساقيه ويده عن كامل جسده، ظل يهز جسده ليتحرر دون جدوى ثم سأل حسَّان ولَمْ يكن تعرف عليه بعد بسبب ثقل الظلام الدامس:

- أنت مين؟ وأنا إيه اللي جابني هنا؟

قذف حسَّان عقب السِّيجارة وقال:

- إزيك يا عصفور.. عامل إيه؟

- أنت مين؟!

انتصب جَسد حسَّان الفارغ عندما وقف وخطى تجاه السَّيَّارة التي فتح مصابيحها، فضرب الضوء جزء من الصحراء. نزل من السيَّارة ومضى بخطى ثقيلة حتَّى وقف أمام عصفور. مال راكعًا، فضرب ضوء المصباح وَجْه حسَّان ووضح ملامح كانت تظهر عليها الانتقام:

- مش فاكرني؟

تغيَّرت ملامح عصفور إلى ملامح شخص يحاول الاستذكار. في بداية الأمر كان من الصَعب التعرف على شكل حسَّان، ليس لتغير شكله فحسَّان منذ الحادثة وإلى الآن لَمْ يتغير شكله كثيرًا لكن طول المدَّة كانت عائقًا أمام عصفور ليتذكر:

- بكام سعر الكلى دلوقتي؟

لَفظ حسَّان فتذكر عصفور، حملق في وَجْه حسَّان، وتبدلت ملامح الفزع إلى خوف واستعطاف. بلع عصفور ما في فمه من

ريق وقال بشفاه ترتعش:

- أنت إزاي هنا؟!

تدرجت ضحكة حسَّان لصوتٍ عالٍ:

- نزلت من فوق عشان أكون عزرائيل في الأرض.. وأعرف آخد روح كل واحد في الوقت المناسب.

- أنت إزاي عايش؟

هزَّ حسَّان رأسه دلالة أنَّه موافق للشرح:

- حكمة ربنا.. وهحكيلك إزاي.. بس قبل ما أحكيلك عايز أسألك سؤال فلسفي شوية.

عم الصَّمت للحظات قبل أن يوجِّه حسَّان السؤال:

- هل دلوقتي عزرائيل واقف وسطنا؟ يعني هل هو مستني الفعل مني عشان يقبض روحك بما إني كدا كدا هخلص عليك؟ ولا هو شاف المستقبل مثلًا واتأكد أنك هتموت على إيدي وملكش نجاة وقبض روحك فعليًا ودي حلاوة روح قدامي!.. طيب هل لو أنا تراجعت وما قتلتكش الموقف هيـ..

قاطعه عصفور:

- قدر ومكتوب.. أنت تعتبر ميت وعزرائيل قبض روحك..



إيه السر اللي خلاك تكون قدامي دلوقتي!

- المكتوب.. معاك حق.. أقنعتني يا عصفور.

وقف حسَّان وضرب الأرض جيئة وذهابًا وقبل أن يتكلم أردف:

- بس أنا مش عايزك تخاف.. أنا ماموتش وشبحي ظهر تاني ولا حاجة.. الحكاية أبسط من كدا بكتير.. المهم سيبني أحكيلك.

أغلف فاهه عن الحديث لثوانٍ، ثم عاد يقول وهو ينظر مباشرة في عين عصفور:

- زي حكايات ألف ليلة وليلة أنا لقيت نفسي صاحي.. جوا غرفة.. اكتشفت بعدين إنها قبر.. وإني مدفون جنب جثة، وربنا قدرني إني أستحمل يومين.

توقَّف حسَّان عن الحديث فجأة ثم اقترب من أذن عصفور وأردف بصوت حيَّة:

- بيني وبينك اتعلمت في اليومين دول كتير.

ترك حسَّان أذن عصفور وتراجع إلى الخلف وعاد الصَّوت عاليًا:

- لغاية ما حمدي نزل التُّرْبة عشان يجهزها لأخو الجثة اللي

جمبي.. الراجل يعيني مكنش يعرف إني مستني أي شعاع نور.

بحركة خاطفة وضع حسَّان عنق عصفور بين أصابعه وهو يقول بحنق شَدِيد:

- وأنا من ساعتها حالف لأكون ساعة عزرائيل.

وتحرك باتجاه السَّيَّارة تحت أنظار عصفور الذي بدأ يستوعب بشاعة ما سوف يفعله حسَّان فيه، فظل يتحرك بهستيرية محاولًا الفكاك دون جدوى ويطقل عبر حنجرته صراخ طلبًا للنجاة.

وضع حسَّان المفتاح في السيَّارة وأدار محركها، في البداية كان رحيما في زيادة مؤشر السرعة ل ٢٠ ك/ س لكن قاسيًا في بطء نزع يد وساق عصفور الذي ظل يصرخ بهستيرية. دوى صوت عظام تتكسر حتَّى انخلعت المفاصل ومع زيادة السرعة تقطع اللحم وانفصلت اليد عن الجسم. في السَّيَّارة أراد حسَّان أن ينهي العذاب فغرس بغل وجنون دواسة الوقود فانفجرت السيَّارة عدوًا فانخلع فخذ عصفور عن الجسم، وانقطعت أحبال عصفور الصوتية من شدة الصراخ حتَّى فقد وعيه عندما انفصلت السَّاق عن الجسد إلى أن مات من برك الدماء التي نزفت من جسده.

***

نفس اليوم..

مسرح الجريمة..

١٢:١٥ ظهرًا..

خلع أكمل سعيد رئيس المباحث نظارة الشمس فور نزوله من سيَّارة الشُّرطة. كان يرتدي ملابس مدنية، قميص كاروهات مخططا وسروالا جينز أزرق غامقًا، وينفث دخان سيجارة كليوبترا كانت الأخيرة في العلبة قبل أن يطحن العلبة بين قبضته. اقترب حتَّى يرى الجثة فضقق النظر فيها لحظات ثم قطاع توجيهات رجب الأسيوطي المعاون قائلًا:

- وصلت لجديد؟

توقَّف رجب فجأة عن إعطاء التعليمات ونظر إلى أكمل وأسهب في حدِيثه:

- للأسف اللي عمل الجريمة قاتل محترف أو حد دارس الموضوع كويس.. العربية مسروقة ومتبلغ عن أرقامها ومفيش أي أثر للفاعـ..

قاطعه أكمل:

- باقي أعضاء المجني عليه...

شدَّ نفس السِّيجارة واستكمل:

- لقيتوها؟

حرك رجب رأسه نافيًا:

- ده واحد بياخد تار.. تار كبير.. عشان يعمل العملة دي.

- فعلًا يا فندم.

- باقي الجثة تجيبوها.

- حاليًا بنمشط المنطقة كلها وإن شاء الله نلاقيها يا فندم.

- ارفع البصمات..

صمت رجب قليلًا، ثم هزَّ رأسه بأسى قائلًا:

- من الواضح إن العربية كلها مغسولة بغاز الأمونيا.

تسمَّر أكمل في مكانه، فيما التفت برأسه وقال:

- وقعنا مع مدرس كيميا إحنا!!

***

قبل سبع ساعات..

٥:٠٠ فجرًا..

ولأول مرة منذُ فترة يتلذذ حسَّان لتلك الدرجة. توقَّف بالسَّيَّارة

بعدما مزَّق جسد عصفور إرْبًا إرْبًا، التفت برأسه للخلف ليشاهد أجزاء عصفور مبعثرة على الأرض، ثم أدار السَّيَّارة مرة أخرى ورجع إلى الوراء وهو يتابع من مرأة السَّيَّارة الجانبية، رَكن بجوار السيَّارة الواقفة، ثم نزل من السيَّارة مرتديًا غطاء على فمه وأنفه للوقَايَة من الغَازات، وفي يده ثلاث زُجاجات بلاستكية كَبيرة مكَتوب عليها (Ammonia) بخط غليظ، وقفاز أبيض أحكم ارتداءه. دَخل السيَّارة ثم رَشَّ الغاز في كل مكان بها، ومَسح بقطعة قماش السَّيَّارة لإزالة البَصمَات. وعند الانتهاء أخرج من جيب سرواله ورقة مكتوب بها (Who's next?).

وقاد السَّيَّارة الثانية ومضى.

***

تحرك أكمل سعيد ناحية السيَّارة السوداء، ألقى السِّيجارة على الأرض وتفحص بنظرة السَّيَّارة من الداخل، فوجد ورقة ملصقة على زجاجها الأمامي مكتوب عليها (Who's next?).

***

اليوم التالي.. معمل التحاليل.. الثالثة ظهرًا.

الاسم مكتوب على لافتة كبيرة بامتداد شُرْفة الدور الرابع ومسلط عليها كشَّاف كبير الحجم يُبرز كلمة (معمل الشرق

للتحاليل الطبيَّة) في عمارة الأطباء.

داخل المَعمل جفف تكييف بقوة حصان ونصف عرق رشيد الجارحي الغزير وهو يتأمل سكرتيرة تُلطخ وجهها بمساحيق تجميل وتطلق ابتسامتها لاستقبال الحاضرين:

- اتفضل يا فندم.

بعدما عَلم رشيد الجارحي محتوى التحليل اندفع الدم يغلي في عروقه، وطفح اللون الأحمر في وجهه، كوم ورقة نتيجة التحليل بين قبضة يده بغيظ ونَزل أربعة أدوار بعدما ضرب زر المصعد مرات بلا نفع، فوثب على السلالم حتَّى وصل للسيَّارة، دسَّ المفتاح بغضب وغَرَز قدمه في دواسة الوقود حتَّى انطلقت السيَّارة.

عندما وصل نَزل رشيد من السيَّارة كثور هائج، أسرع من وقع خطواته حتَّى وصل لحديقة الفيلا، وعيناه مصوبة بجنون على جلسة شاهيناز أمام حمَّام السَّباحة، هجم عليها وجذبها من ضفائر شعرها زحفًا على حافة حمَّام السَّباحة ناعتًا إيَّاها بأقذع الألفاظ والسِّبَاب. حاولت التملص وهي تصرخ تحت دموع خالد ودهشة الشغالين الذين صرعوا على الصَّوت والصراخ لكنه عاد وشدَّ شعرها وهو يقول:

- قومي يا فاجرة!

لَمْ يمنعه أحد في الطريق، الكل خائف لا يقدر على الاقتراب في وَجْه ثور داخل حلبته. في صالة الفيلا رمى شاهيناز على البلاط وألقى مزهرية على الشغالين وهو يغلظ من الصَّوت قائلًا:

- برة!!

أخرج رشيد الجارحي هاتفا وسبَّ شاهيناز قائلًا:

- اتصلي بأبو الولا دا ييجي دلوقتي!!

كان شعر شاهيناز مبعثر كالمجاذيب والدموع تنهمر على وجنتيها وتقتحم الكحل الذي يحاوط العين:

- في إيه مش فاهمة حاجة!!

قالت شاهيناز وسط نحيبها.

- عملتيها مع مين انطقي!

وصفعها صفعة طرحتها أرضًا:

- ردي عليا مع مين!

اعتدلت وهي تحاول ردع الثور:

- أنت بتشك فيا يا حيوان أنـ..

قاطعها:

- ونتيجة التحاليل اللي قالت إن الولد اللي جوا دا مش ابني هتقوليلها إيه؟ هتقولي للنتيجة بتشككي فيا يا تحاليل.. وحياة أمك لو ما اتصلتي باللي عمل كدا دلوقتي لتكون نهايتك على إيدي.

***

قضى طه في القهوة أكثر من ساعة ونصف تحت أنظار حسَّان المُنتظر في سيَّارة ويحمل على رأسه قبعة سوداء، واسعة الحواف، تشبه القبعة التي يستخدمها رعاة البقر المعروفة باسم (كاو بوي) مُحاولًا التنكر من خلالها.

كان ينتظر اللحظة الحاسمة التي يخرج فيها الدكتور طه من القهوة ويتعقب طريقه. يتعمَّد طه أن يذهب إلى العيادة غير القانونيَّة بسيَّارة مخصصة لذلك طرازها رديء ويرتدي نظارة شمس كبيرة تخفي نصف وجهه الكبير.

هبَّ حسَّان عندما رأى طه يخرج من القهوة حتَّى سيَّارته، فأدار السيَّارة وتعقب طريقه من مسافة كافية حتَّى لا يثير الشكوك حوله ويفتضح أمره. كان الطقس حارًا وموجة شديدة الحرارة تضرب الأرض، بينما يسير حسَّان خلف طه إلى أن توقَّف عند عمارة في مدينة نصر، خرج طه من السَّيَّارة إلى العمارة لمدة تجازت العشر دقائق ونزل، ساعتها كان حسَّان يتوارى مُراقبًا الوضع تحت ظل

شجرة صغيرة بجوار العمارة. أسرع حتَّى السيَّارة وتابع طه حتَّى وصل للمكان الذي تابع فيِّه طه قبل ذلك ويعرف أنَّها العيادة غير القانونية.. العيادة التي يجري فيها طه العمليات مثل التي أجراها لنزع كلية حسَّان لصالح الجارحي. كانت العيادة متمثلة في شقة حولها حديقة صغيرة نسبيًا في حيّ من الواضح أنَّه حديث الإنشاء. مجتمع عمراني جديد لَمْ يسكن به أحد حتَّى الآن إلا فئة قليلة، مميز حيث إن الكل من الواضح يسكن دون الحاجة عن السؤال الفضولي. فكان المقر جيدا بالنسبة له.

نزل حسَّان من السيَّارة عدوًا وراء طه الذي كان قد مدَّ أول ساق في الداخل، وحينما أصبح خلفه مباشرة أخرج حسَّان من جيب سرواله أنبوبا صغيرًا رَش في الهواء وعلى وَجْه طه فدارت الدنيا من حوله وتشوشت الصورة في عينيه رويدًا رويدًا حتَّى اسودت تمامًا وافترش الأرض، حَمله حسَّان على كتفه، ثم رمى جسده على سرير العمليات (الترولي)، كبل طه من الساق واليد، وحشا فمه بالقطن، ثم جلس على كرسي مقابل السرير منتظرًا أن يسترد وعيه.

***

سَاد الصَّمت ولم تتفوه شاهيناز بعدما علمت أن الأمر قد انكشف واستوعبت أن الولد (كما قال رشيد وفقًا للتحاليل

لو كانت صحيحة) ليس ابنه فهو من المؤكد ابن الدكتور طه.. وتذكرت ما حدث..

***

- مخدتيش حاجة للمنع ليه؟

ابتسمت بسخرية وقالت:

- أنا أرضي بور وبقالها سنين مابتنبتش هتيجي على اليوم اللي أنامه معاك يعني وأحبل منك!..

سكتت ثم قالت:

- حبيبي أنا بقالي فوق العشر سنين مبحبلش..

رفعت حاجبيها مع بعضهما وهي تبتسم:

- أنت بتروي أرض بور ليست صالحة للزراعة والحصد!

***

أخذت الهاتف بأيدٍ مرتعشة وهي تضرب أرقام الدكتور طه، ثم مدَّت الهاتف لرشيد الذي صُعق عندما ضغط على زر الاتصال ووجد أن الرقم مسجل على هاتفه باسم (دكتور طه).

***

كان يدفن حسَّان ذقنه بين كفيه عندما سمع صوت الهاتف، وفي نفس اللحظة كان طه بدأ يستوعب ما حوله، حرك يدا وساقا ببطء فوجدها مكبلة في الفِراش، ثم نظر إلى خيال يقترب بدأت تتضح صورته يُخرج من جيب سرواله الهاتف، فعرف من صلعته أنَّه حسَّان. فهاج وبدأ يهز جسده بعنف، ويصدر أنينا مكتوما، ويحاول أن يبصق قطع القطن من فمه.

أخرج حسَّان الهاتف وابتسم بخبث عندما رأى أن المتصل رشيد الجارحي، فترك الهاتف يرن حتَّى ساد الصمَّت.

سمع طع صوت حيوان تألفه أذنه. الصَّوت يعلو ويأتي من صندوق مغطى بقطعة قماش، عرف طه أنه فأر من الصَّوت الناجم من خربشة القدم الصادر من قفص خشبي الحواف ومغلف بالسلك المربع. نظر حسَّان إلى القفص ثم التفت إلى طه. وكان بجانب القفص قصْعَة بها فحم مُشتَعِل أعدها حسَّان في فترة غيابه عن الوعي. حَمل حسَّان الصندوق وهو ما زال مغطى بقطعة القماش، فنال التفكير من ذهن طه ووضع طه ووضع العديد من السيناريوهات، وفجأة أزال حسَّان قطعة القماش عن القفص كأنَّه ساحر في سيرك يرفع قطع المناديل الملونة بأصابعه، ثم قال:

- إيه رأيك في عرض جديد أول وآخر مرة هتشوفه لايف في

حياتك يا دكتور.

اقترب حسَّان ونزع قطعة القماش من فمه وأردف:

- كدا تعرف تقول رأيك من غير حَجر.

كان القفص يحوي جرذا ذا فم مُمَيَّز وجميل، لونه رمادي وشعره قصير، يمتلك آذانا دائرية صغيرة وذيل أصلع طويل، ويصدر صوتا خافتا. رَفع حسَّان القفص لأعلى ثم اقترب بالصندوق ورفعه أكثر فوق صدر طه الذي نظر فزعا:

- أحطه فين يا ترى أحطه فين.

بقع العرق كست جسد طه رغم أنَّه يرتجف ويستشعر البرد. قال عبر فمه المرتعش:

- أ أأ انت هتعمل....

ازدرد ريقه وأعاد:

- هتعمل إيه؟

- لا أبدًا الفار بقاله فترة جعان فقولت أغذيه.

- أجوك.. أرجوك بلاش اللي هتعمله ده.. أنا مدين لك بأي حاجة تطلبها مني.

قرَّب حسَّان القفص من وَجْه طه الذي استكمل وعلامات الجزع تظهر على وَجْهُه:

– أي حاجة صدقني هعملها لك مهما كانت.. بس أرجوك ارحمني ووقف الجنان ده.. أنا مليش دعوة أنا عملت اللي رشيد كان عايزه.. هو.. هو اللي المفروض تنتقم منه مش أنا...

أبعد حسَّان القفص عن وَجْه طه وقال:

– وحد قالك إني هرحمه؟

– أرجوك فكني ونتكلم.

جلس حسَّان على الكرسي:

– لا، أنا عايز آكل الفار بتاعي.. وهو بيحب الجزء ده.

وأشار على كلية طه:

– أنا تحت أمرك في أيَّ حاجة بس أرجوك بلاش تعمل اللي في دماغك.

– أنا عايز كلية زي اللي خدتوها مني.

– موافق.. أنا موافق وحتَّى لو جسمنا إحنا الاتنين مش متوافقين هجبلك كلى توافق جسمك.

ابتسم حسَّان بخبث وقال:

- المشكلة إني مش عايزاها ليا.

دبَّت الحيرة على وَجْه طه:

- أمال لمين؟

قال حسَّان بصوت خفيض كأنَّه يَهمس بين ضحكته المجنونة:

- للفار.

وفجأة، فتح بابا صغيرًا في القفص، وجعل الباب مواجها لجسد طه ناحية الكلية، وربط القفص على وسط طه جيدًّا وصوت الفأر لم ينقطع، فبدأ طه يهز جسده بعنف وهو يترجى حسَّان ويطلب الصفح فلمّا لَمْ يجد فائدة من الرجاء بدأ يصرخ بشدة فأعاد حسَّان حشو فمه بقطع القطن مرة ثانية.

وبقطعة قماش حَمل حسَّان القصْعَة الموجود بها جمرات الفحك المُتَّقِدَة ووضعها فوق القفص الصغير فهاج الفأر واضطرب، ونبش بأسنانه الحادة لحم طه الطري كأنَّه يقرَّض الخشب، ثم بدأ في الأكل بجنون. بينما ظل طه يطلق صراخا مكتوما. ثم وضع ورقة مكتوب عليها (?Who's next)..

رَنَّ هاتف الدكتور طه في يد حسَّان مرة أخرى، تفحص حسَّان

المتصل ولَمْ يرد، ثم أرسل رسالة إلى رشيد الجارحي يقول فيها:

((مستنيك دلوقتي في عنوان العيادة، لو مش فاكره فهو (.......).. مستنيك في أمر ضروري.. دكتور طه)).

ثم أغلق الهاتف..

***

أبلغ الهاتف رشيد أن هناك رسالة، فتحها فوجدها من الدكتور طه، قرأها وابتسم. انتهز الفرصة ووفر طه البحث عنه. استدعى البودي جارد من سور حديقة الفيلَّا وأمرهم:

- شاهيناز متتحركش من هنا.. لا تستعمل تليفون ولا تعمل أي حاجة.. لو اتحركت من هنا هطير رقابيكم...

نظر إليهم للحظات قبل أن يصرخ فيهم:

- فاهمين!!!

وسط ذهولهم قالوا:

- حاضر يا رشيد بيه.

فتح رشيد ضلفتي دولاب أخذ منه مسدسا أودعه جيبه، ثم انطلق خارج الفيلا حتَّى سيَّارته. كان الطريق مزدحم بسبب حادث بين سيَّارة ذات حمولة كبيرة انقلبت على سيَّارة ملاكي

فحطمتها. توقَّف رشيد في طريق الحادث أكثر من نصف ساعة بسبب الخناق المروري المتسبب به الحادث وعندما خف الخناق ضرب دواسة الوقود حتَّى وصلَ إلى العنوان. نَزل من السَّيَّارة وهو يؤمن على المسدس، وقبل أن يدلف باب الحديقة الصغيرة انقطع التيار الكهربائي عن المنطقة، عمَّ الظلام في الشقة، فدخل رشيد بحذر، وجد الباب مواربا، أخرج المسدس وتحرك بحرص وهو يدفع الباب ببطء. تفقد الصالة وهو يوجِّه فوهة المسدس في الفراغ، ثم دخل غرفة وجد بها الدكتور طه مستلقيا على سرير وسيل من الدماء تتساقط من معدته ومن الواضح أنَّه قد مات. والفأر ما زالت يصدر صوته في القفص الموضوع على جسد طه.

تيقظت آذان رشيد لصوت يأتي من الخلف:

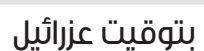
- إزيك يا رشيد بيه؟ يا ربّ تكون بخير.

تسمَّر رشيد مرتبكًا في مكانه، وقبل أن يفكر رشيد في الهرب انقض حسَّان على رأسه بقطعة صلبة تفاداها رشيد بخفة فوقع حسَّان على وَجْهُهُ.

قبض رشيد بعنف على المسدس وهو يقول:

- أنت مين؟

التف حسَّان وهو على الأرض، وفجأة عاد التيار الكهربائي،



فاندهش رشيد الذي تأكد من ملامح حسَّان الواضحة، ثم أطلق رصاصة في جبهة حسَّان خرقت جمجمته وطلقة أخرى ضربها بغل في قلبه فمات حسَّان خلال دقائق. وهرَب رشيد من المكان.

الفصل الحادي عشر

بعد أسبوع.

رَجرجت قطع الثلج وسط كأس العصير في موجة الحر المُمْتدَّة منذ أيام جعلت الجارحي يأخذ كأسا في البار الذي صنعه خصيصًا في حديقة الفيلا من جهة اليمين لحمَّام السَّباحة. يجلس فوق مقعد سيقانه طويلة ورفيعة تجعله على مستوى واحد من حافة البار الرُّخاميَّة، تحت مظَّلة عُلَّقت في الأعلى لتحجب الشمس الحارقة في الصيف، وذرات المطر في الشتاء.

صبَّ النَّادل كأسا آخر رشفه الجارحي دفعة واحدة، وانتشى متلذذًا بطعمة اللاذع، وضع الكأس على الحافة الرُّخاميَّة ونظر إلى حمزة الذي دلف البوابة. لَمْ يعط الجارحي بالا عندما اقترب وجلس على الكرسي بجواره. خلع حمزة نظارته وأظهر وجهه البارد الجاف، وقال:

- طه اتقتل.

وضرب مؤخرة كأس على الرُّخَام كنداء للنادل ليصبُّ في

الكأس:

- أخبار بايتة.

- المشكلة إن...

قاطعه رشيد:

- المشكلة إنك بتقول إن حسَّان اتدفن قدام عينك.

- والله العظيم حصل قدام عيني..!

قال رشيد بسخرية:

- يبقا اللي أنا قتلتله ده عفريته.

تصلَّبت يد حمزة قبل أن يدفع العصير داخل فمه:

- قتلته!!

أغلق فاهه للحظات ثم أكمل:

- قتل مين؟ وهو ظهر إزاي؟ إيه اللغبطة دي! أمال مين اللي كان قدامي في القبر.. دا الراجل متربس عليه تحت وهو في سابع موته!!

صبَّ رشيد كأسا آخر في جوفه:

- تعالي ورايا هقولك قتلته إزاي.

وَضع الكأس على الرُّخام وسار مع حمزة إلى أن دلفا باب يفضي إلى الصَّالة الواسعة، أشار رشيد لخادم، وقال:

- هاتوا شاهيناز.

وأكمل السير حتى المكتب. كان مكتب رشيد بالغ الهدوء، مصبحان صغيران مسلطان على المكتب بإضاءة خافته تريح العين، وكنبه تتحول لسرير صغير ينام فيه رشيد أوقات الانعزال، ومَكتب كبير في وَجْه باب الغرفة جلس عليه رشيد. مِنْ الدُرج أخرج رشيد قفازا ارتداه ثم أخرج مسدس من تحت رُزمة أوراق. وضعه على المكتب، وكتب على ورقة (?Who's next).

دلفت شاهيناز من باب، ثم تحرك ببطء حتَّى تسمَّرت أمام المكتب بمسافة قليلة، كانت حالتها سيئة، رثة الثياب، والإرهاق باد على وجهها وجسدها المنهك، وشعرها المنثور ملاصق لكحل عينيها السائل على خديها. نظر إلى حالتها حمزة قبل أن تتسع عيناه عندما رأى رشيد وهو يمسك المسدس ويطلق عليها مصوبًا طلقة. أخذت شاهيناز الطلقة في منتصف جبهتها فوقعت في الحال. وَضع رشيد المسدس مكانه وقال:

- زي كدا

أخذ رشيد الورقة المكتوب عليها (?Who's next) وألقى بها على

جسد شاهيناز.

التف لحمزة وقال:

- حكمة ربنا إن ابنها يتيم من الأب والأم.

تحت ذهول حمزة سأل:

- هي عملت إيه؟

- ولا حاجة.. كل الحكاية إني طلعت مش أبو الواد.

ضحك رشيد بصوت عالٍ وهو يقول:

- دا الدَّجال طلع كلامه صح.

ضيِّق حمزة عينيه محاولًا فهم ما يقوله رشيد:

- الولد طلع ابن طه.. دكتور طه.. تخيل!

- نعم!!

- زي ما سمعت.

- عشان كدا أنت قتلت دكتور طه؟

هزَّ رشيد رأسه دلالة النفي:

- للأسف لا.. بس حسَّان قام بالواجب وخلا الفيران تنهش

في جتته.

- هو اللي قتله؟!

خرج السؤال من فم حمزة، فردَّ رشيد:

- وأنا اللي قتلته.. كان عايز يخلص عليا وينتقم مننا كلنا.. قتلت طه وكتب إن باقي فردين.

قاطعه حمزة:

- اللي هو أنا وأنت.

هزَّ رشيد رأسه بما يفيد الإيجاب:

- بالضبط.

- تخيل كانت بتخوني مع حتة الدكتور دا.. والولد كمان يطلع ابنه مش ابني.

رفع رشيد رأسه وقال:

- تصدق أنا اكتشفت ضعف حيواناتي المنوية.. تخيل من وسط التصارع ده حيواناته هي اللي تخصب.

أشفق رشيد على حاله وهو يقول:

- it's compaicated

ثم أردف وهو يصفق:

- برافو حيوانات دكتور طه المنوية.

قالها رشيد قبل أن يمسك الهاتف ويرن على رقم الشرطة، وضع الهاتف على أذنه، وانتظر ثوان حتَّى استرسل في حديثه:

- لو سمحت عايز أبلغ عن جريمة قتل.. اه لي صلة بيها.. مراتي.. العنوان (.....).

***

في قسم الشرطة استجوب أكمل سعيد كل خدم الفيلا والحُراس، الجميع أنكر صلة وجود خلافات بين الزوج والزوجة من الأساس. الكل علم فجيعة ما سوف يحدث لو تركوا ألسنتهم تقول الحق، ساعتها لن يرحم الجارحي أحدا حتَّى لو كان بين القضبان، لذا فالكل قصَّ علاقة جميلة تربط الجارحي بشاهيناز قبل وفاتها. كان عاشقًا لها، يُلبي كل طلباتها، لَمْ تكن هناك أيَّ مشاكل بينهم، فضلًا عن علاقة الود والرحمة.. هذا كُل ما قالوه.

دلف الجارحي آخر المستجوبين باب المكتب، وعندما دخل على الضابط جلس بثقة عمياء، طلب سيجارة فأذن له رئيس المباحث وبدأ يتحدث بدون لعثمة، وخرج الكلام مرتبا وعقلانيا دون أيَّ شكوك تمسَّه، فضلًا عن المعاملة الحسنة التي تلقاها بداية من تعظيم

الجميع له، وكوب القهوة والسِّيجارة التي نفثها في غرفة التحقيق أمام رئيس المباحث الذي قال:

- حياة مدام شاهيناز كانت فيها حد متعرفوش؟

أجاب الجارحي:

- حياتي أنا وشاهيناز كانت واحدة ومعتقدش إن لو في حاجة تمسها بسوء زي كدا كانت هتخبي عني.

عاد رئيس المباحث يستفسر:

- طيب وبالنسبة للورقة اللي لقوها على جثة شاهيناز ومكتوب عليها (Who's next?) تخصك؟

- لا طبعًا.. أنا استغربت أول ما لقيتها.. بالعكس أنا خوفت.

أخذ أكمل سعيد إجابته وحولها إلى سؤال:

- خوفت من إيه؟

- باقي مين.. والجريمة في مكتبي.. يعني مفيش شك إني أنا اللي باقي.

- متهم حد إنه يكون القاتل الفاعل!؟

أجاب الجارحي:

- أتهم نفسي.

صمْت لبرهة ثم أكمل:

- إني فكرت في يوم أسيبها لوحدها تواجه مصير زي دا..

نظر رئيس المباحث إلى الجارحي وهو يقول:

- طيب يا رشيد بيه تقدر تتفضل دلوقتي.. بس أعذرنا ممكن نعطلك شوية الأيام الجاية.

وضع الجارحي فنجان القهوة على المكتب:

- مفيش مشاكل.. أأقدر أمشي أنا؟

حرك أكمل رأسه وأشار بيده ناحية الباب:

- اتفضل.

عند خروج الجارحي دَخل معاون رئيس المباحث حتَّى وقف أمام أكمل سعيد قائلًا عدما تأكد أن الجارحي قد غادر:

- في لغز جديد ظهر يا فندم.

- في إيه؟

- اتبلغ عن حالة قتل في العنوان (..).. وأكيد هي مرتبطة بحادثة شاهيناز.. المجني عليهم في عيادة مقتولين بقالهم فترة لكن السكان

اكتشفوا الموضوع متأخر.. ولما روحنا لقينا جثة دكتور اسمه طه في عيادة مجهولة الهوية واضح إنها كانت تحت السلم ومكتوب فوق جثته (Who's next?) وكان متكتف وميت بطريقة بشعة كانت بتستخدم زمان.

- مات إزاي؟

- عن طريق تهييج فار محبوس في مصيدة.. لقوا الدكتور متكتف وفار في مصيدة بينهش في جتته.

أشار أكمل بيديه وهو يقول:

- كمل..

- وجبنها جثة واحد اكتشفنا إن اسمه حسَّان ومتبلغ عن فقده من فترة.. وواخد رصاصة في دماغة.. ومشتبه إنه يكون أثناء قتله للدكتور يكون حد بيحاول يلحق الدكتور وينقذه.

خطف أكمل الكلام:

- أو يلبسهاله!

ظهرت الحيرة على أكمل سعيد، تحرك بخطى ثقيلة واستنشق نفسًا عميقًا من السِّيجارة ثم أردف:

- كدا عندنا جثة واحد كان سوابق ومعروف ببلطجته.. التاني

دكتور شمال ومعاه واحد مفقود من فترة.. والتالتة مرات رشيد الجارحي.

- بالظبط يا فندم.

- جثث ملهاش أي علاقة ببعضها أساسًا.. المشكلة إن في حاجة محيراني أنا شخصيًا!

- إيه يا فندم؟!

- في جثث بيتمثل بيهم.. تحسه حد بينتقم منهم كلهم!

عمَّ الصَّمت بمجرد أن وقف أكمل عن الحديث، رَجع إلى الكرسي وجلس وهو يخرج زفيرًا:

- وغير كدا في رابط مهم بينهم كلهم.

أكمل المعاون:

- الورقة.

قام أكمل وتحرك بضع خطوات مواليًا ظهره للمعاون:

- بالضبط.. كدا الورقة اللي بتتساب على جثث الناس دي ملهاش غير تفسير واحد.

- إيه هو؟

التفت وسرد:

- إن القاتل مش هيستريح غير لمّا يخلص على باقي الأفراد لو كان لسه في قايمته حد.. دا طبقًا للورق اللي بيسيبه على الجثث وآخرهم كانت جثة شاهيناز.

- مظبوط يا فندم!

- أو ممكن يكون رشيد له يد في الموضوع وقال إنه خايف من الورقة الأخيرة وإنه يكون آخر واحد مطلوب جثته..

- تمويه!

- بالظبط.

داعب أكمل شعيرات ذقنه أثناء تفكيره:

- عايزك تبعت الورق للطب الشرعي عشان يتحلل.. نشوف خط الكلام اللي موجود على الورق ويعرف هل هو متطابق ولا لا مع بعضه.

- اعتبره حصل يا فندم.

- وعايزك تتصرفلي في أي ورقة فيها خط من إيد رشيد.. تتم مطابقة خطه بالخط اللي مكتوب على الورق.

- تحت أمرك..

- وتروح حالًا على بيت حسَّان تجيبلي من هناك أي حاجة كاتب فيها بخط إيده..

- تمام يا فندم.. أي أوامر تاني؟

- عرفهم إن ابنهم اتوفي..

أومأ المعاون برأسه وقال:

- حاجة تانية يا فندم؟

- لا.. اتفضل أنت.

***

بعد ساعة ونصف..

عبرت سيارة الشرطة من شوارع المنطقة الشعبية التي يسكن حسَّان حتَّى وقفت أمام منزل قديم، نزل ظابط من سيَّارة الشرطة وهو يلقي الشتائم في وَجْه النَّاس الذين بدأوا يتوافدون حول السَّيَّارة. اندفع ثلاثة عساكر عدوًا على درج المنزل الذي يقطن به حسَّان. في على باب شقة الدور الثاني دق الظابط بقوة عدة مرات، ففتحت والدة حسَّان الباب والفزع بادٍ على وجهها عندما دفعها الضابط من أمامه ودخل، ألقى نظرة سريعة على المنزل من الداخل، وقال:

- دا منزل حسَّان؟

جاء الرد من إنجي:

- أيوة.. ممكن أعرف في إيه؟

قالت وهي تخرج من غرفتها وتستر شعرها بشال:

- بس إحنا منعرفش عنه حاجة بقالنا فترة.. وكنا مقدمين بلاغ فقــ.

قاطعها الظابط:

- أنتِ مين؟

- أخته يا فندم.

تدخلت والدة حسَّان تقول:

- أنتم لقيتوه؟

- أيوة لكن للأسف..

- للأسف إيه..

هو عمل إيه؟

قالت والدته فأخر الظابط الخبر حتَّى يجد ما جاء من أجله:

- عايزين ورق يكون مكتوب بخط إيد حسَّان.

قالت إنجي:

- طيب في إيه يا فندم عايزين اللي طلبناه منكم.

- حاضر.. حاضر..

قالتها إنجي قبل أن تذهب وتأتي بأوراق للعمل مكتوبة بخط يد حسَّان تحت اغرواق عيون الوالدة، تفحص الظابط الأوراق قبل أنا يذهب وهو يقول:

- للأسف يا حاجة ابنك لقيناه مقتول.. وتقدري بعد فترة تستلمي جثته من المشرحة.

وانطلق حتَّى لا يمزق صُراخ العائلة نياط قلبه.

***

كانت الفيلا فارغة تمامًا، لا يوجد داخل نطاقها أحد إلا الحُراس القابعين في الخارج عند سور البوابة، أمام بالداخل لا يوجد إلا رشيد يجلس على المكتب وسط بقعة ضوء تأتي من أباجورة صغيرة موضوعة على المكتب حول ظلام دامس يحد باقي جوانب الغرفة. يجلس مرتديًا نظارة لغرض القراءة، ويمسك قلما يكتب به على ورق لإنجاز مهام تركها لوقت متأخر، تذكر أمر حسَّان فترك القراءة

للحظات يفكر في سر ظهوره مرة ثانيةً على الرغم من قسم حمزة أنّه دُفن أمام أم عينيه. ورغم أن الموضوع أصبح لا يشكل خطورة بعد أن قتله إلا أنه سبب عائقا لاستمرار حياة رشيد الجارحي بدون تفكير عن كيفية ظهوره ثانيةً.

جاء صوت تيقظت له آذان رشيد يأتي من الصَّالة، قام ومضى متتبعًا صوت بكاء ابن الزنا خالد. اعترى رشيد الغضب، مرَّ عبر الصَّالة إلى الغرفة الموجود فيها، انتبه الطفل صمت عند رؤيته، رَجع رشيد المكتب وهو يلعن الطفل ويتمنى لو كانت الفرصة سانحة ليبيد الطفل من على وَجْه الأرض، لكن الأمور ستسوء وسيتم اكشاف الجريمة والأمور سوف تتعقد.. هكذا فكر، وعلى هذا النحو قرر أن يرعى الطفل إلى أجل غير معلوم.

انقضت دقائق كان التفكير يشغل حيزا من عقل رشيد. فجأة سمع صوت بيانو جميل. كانت موسيقى عذبة تُشبه الموسيقى الجنائزية قبل أن يختفي الصَّوت بعد ثوان. تعجب رشيد في البداية لعدم وجود أحد.. فجميع العاملين عدا الحُراس في إجازة. سار في الصَّالة وضيِّق عينيه ليحاول أن يرى بوضوح وسط الظلام، لَمْ يلحظ شيئا فمضى حتَّى ضغط على القابس فأضاءت مصابيح الصالة لوهلة. فظهر جسد امرأة هزيل، تجلس على البيانو وتعطي ظهرها له، وفجأة انفجرت جميع المصابيح.

انتصب شعر جسد رشيد عندما رأى المرأة في اللحظة بين الإضاءة وتلف المصابيح. ثواني قليلة إلى أن رَجع الصَّوت ثانية، وبدأت المرأة مرة أخرى في العزف على مفاتيح البيانو. كانت مهمة تحديد مَن غاية في الصعوبة بسبب الظلام الحالك. ترتدي المرأة لحافا يغطيها من رأسها حتَّى أخمص قدميها. مع ارتفاع رتم العزف كانت دقات قلب رشيد تزداد وشعر جسده يقف كإبر مدبَّبَة. لم يستطع رشيد الانتظار أكثر، صرخ للنجدة، التفتت المرأة فلمح رشيد ملامح وَجْه شاهيناز وهي تنظر بغيظ وتجز على أسنانها وتضيِّق عينيها التي كانت تشع منها النَّار من لونها الأحمر الفاقع. لثوان ظلت تنظر بغيظ ثم سقطت من عينيها دماء كأنها تبكي دما، وتتابع سقوط الدم حتَّى اندفع من فمها وأنفها وأذنيها قبل أن تقف وتمشي ناحية إحدى الغرف مختفية وسط الظلام الثقيل.

شاهد الحُراس عيني رشيد تُحملق على الغرفة فندفعوا إليها كأن عينيه يد أشار بواسطتها. سلطوا الكشافات في الغرفة يمينًا ويسارًا، في الأعلى والأسفل ولَمْ يجدوا أثرا لأي شيء، عادوا وهو يقولون:

- في إيه يا رشيد بيه..؟

أخذ رشيد نفسًا عميقًا وهو يحاول تصديق ما حدث منذ لحظات. اخترق رشيد أجساد الحُراس، ثم دَخل الغرفة ليتأكد

بنفسه تمام التأكد أن الغرفة خالية. ومن روائه الحُراس يتبادلون النظر فيما بينهم بغرابة.

لفَّ رشيد في الغرفة بأكلمها فلم يجد أيَّ أثر لها، شباك الغرفة كما هو مغلق بإحكام ولا وجود لدماء على الأرض وكل شيء مرتب ونظيف، خرج وهو يجز على أسنانه ويقول:

- واحد يفضل هنا واقف لغاية الصبح ميتنقلش من مكانه، أما الباقي يتفضل يرجع مكانه.

تطوع واحد منهم:

- أنا هفضل هنــ..

قاطعه رشيد وهو يصرخ فيهم:

- المهم تفتحوا عينيكم كويس!!

قالها رشيد رغم علمه أن الأمر تخطى كل الحدود وظهر له عالم آخر لَمْ يكن في الحسبان.

تدخل فرد آخر وقال موجهًا حديثه للحارس الذي سيظل داخل الفيلا:

- وإحنا هنجيلك كل فترة نتأكد إن الدنيا تمام.

ختم الأخير:

- يلا إحنا نرجع على البوابة.

وقبل أن يغادروا قال رشيد:

- وكل الشغالين يرجعوا.. مفيش إجازات الفترة الجاية.

قال أحدهم:

- هيحصل يا رشيد بيه.

فور انتهاء ما حدث ظلت عين رشيد في تلك الليلة على اتساعها حتَّى مطلع الفجر. يجلس وحيدًا رافعًا كأس الخمر إلى فمه واحدا تلو الآخر، فقدر أنه شرب برميلا من الخمر حتَّى الثَّمَل، ودَخن سيجارة محشوة رسمت ضحكة بلهاء على وَجْهه. وقال مُحدثُا إيَّاها:

- خلاص رسيت على إني أشوف أشباح وعفاريت!

اجتاح رأسه صداع مزمن ظهر على ملامح وَجْهه أدى به إلى نوم عميق سافر خلاله إلى عالم آخر وَجد فيِّه أشباحا بالآلاف لشاهينازً تُحرك يديها محاولة الإمساك بهِ. بينما تقف الأشباح على اليمين واليسار على التوازي ورشيد يعبر من وسَطهم.

رنَّ الهاتف ففتح رشيد عينيه بصعوبة على لوحة في السقف وحاول أن يستوعب أنه كان في الحُلم، أخرج زفيرًا بقوة.. وحَك رأسه من الصداع. جلس والتقط الهاتف لكن الرَن قد انقطع.

استعمل الهاتف وضغط على الأرقام. اختار رقم السيد الحسيني واتصل، انتظر الرد دون جواب. عاود الاتصال مرة أخرى فلم يُجب، فرمى الهاتف على الكومود. استقام رشيد في الجلسة ثم قام ومرَّ أمام مرآة نظر فيها بعمق فشُرخ الزجاج كأن عينيه أطلقت شعاعا. اتسعت عيناه وارتد للخلف، ازدرد ريقه وعزم على الذهاب إلى الشركة حتَّى لا يُجَن. فتح الدولاب وارتدي ملابسه على عَجَلٍ ومضى إلى الشركة.

الفصل الثاني عشر

وقت الظهيرة.

امتلأ سقف المطبخ بسحابة تراكمَت مِن البخار الصَّاعد من أواني الطبخ، وَصُبِغ الجو بلو باهت ورائحة تعطل الرئة تجعل وزنها طنين فأصبحت عملية تنفس رشا بشق الأنفس، تقف مُنهمِكة، تتردد على لسانها أغنية قديمة لفريد الأطرش تهون عليها حرارة الصَّيف القائظ، ودرجة حرارة المطبخ المرتفعة.

الطقس الصارخ جعلها في حاجة لهدنة تستعيد فيها تنفسها الطبيعي، فترجلت خارج المطبخ وهي تستعيد الشهيق والزفير بصورة مطولة.

عند أول أريكة ارتمَت بخمول وصداع شديد اجتاح وتملك رأسها، فركت عينيها لتخفف وطأته، وحاولت تناسي أحداث حُلم غريب اطلعت عليه فجر اليوم، وتعجبت كونها تحكَّمت في الحلم وصنعت جوا خاصا غيَّر سيناريو الحلم حسب مزاجها، فكانت ممارساتها للفكر - بعلم لا ينفع وإن كانت جاهلة أصلًا فلا يضر - في الحُلم سخيفة، لكنها قدَّرت أنها سفيرة للنوايا الحسنة

عند قدارة واستحقاق. فحلّت ضيفة في برامج تليفزيونية، وراحت تجوب الإذاعات الداخلية والخارجية لتدس سُمها حتى انتهى المطاف بعامود كامل في جريدة الرأي، جعلت العقول الخاوية يبجلون أفكارها عديمة النفع، التي تدعو الإنسان للعري وإعطائه كامل الحريات حتى لو كانت تلك الحريات تتعارض مع المجتمع.. أو الدين.

هي تجربة فريدة عرفت مبتغاها عند سؤالها لمُختصَّين أفادوها أنها تجربة تُسَّمى الحلم الجلي أو الحلم الواضح؛ وهو أي حلم يُدرك صاحبه حقيقة أنه يحلم.

حيث إن أثناء الحلم الواضح ثمَّة إمكانية عالية أن يتمكَّن صاحب الحُلم من التحكم بهِ وتغيِّير مجريات الأحداث فيه. يمكن للأحلام الصَّافية أن تكون واقعيَّة.. أظهرت الدراسات أن الناس الذين يمرُّون بحلم صافٍ يكتسبون نشاطًا دماغيًا كبيرًا من درجة تردُّد بيتا ١ (١٣ - ١٩ هرتز)، أي بعبارةٍ أخرى يكون لديهم نشاط عالٍ في الفص الجداري من الدماغ، وهذا ما يجعلهم واعين لأحلامهم.

كثرة التفكير زاد من صداعها عن الحد المعقول، فوقفت على ساقين غير مثبتتين تهتزان وترتعشان، تحركت تجاه مكتب زوجها

المغلق، دقت عليه مرات فلَمْ يجب وعرفتْ أنَّه في خلوة من خلواته التي يعتزل فيها عن الدنيا وما فيها، لكن شعورًا مُقلقًا ملأ صدرها لتأخيره كل هذه الفترة. حاولت جاهدة فتح الباب ففشلت لإحكام الغلق..

اتصلت بإخوته وانتظرت حتى مجيئهم.

بعد نصف دورة ساعة كان أحد الأشقاء يضرب الباب بجانبها بقوة دون رد، استسلم للأمر واستجاب لفكرة كسر الباب، فحطم مزلاقه وفتح الباب على جثة أخيه تفترش الأرض وظهره للسماء، تحرك بخطوات حذرة ناحية أخيه، عدل وضعيته بحيث تكون عينيه الواسعة عن آخرها ناظرة لسقف الغرفة، فكانت عيني السيد الحسيني واسعة حد الغرابة ووجهه عليه أشد علامات الفزع كأنه رأي الجحيم بعينه.

***

وقفت سيَّارة رشيد أمام الشركة للحظات وهو يتابع الازدحام عند باب الشركة، رَكن السيَّارة في الجراح الخاص قبل أن يترجل منها وهاتفه لا يكف عن الاتصال، وقف حائرًا على الطريق الأسفلتي من الجهة الأخرى من الشركة عندما شاهد سيَّارتين. واحدة منهم للشرطة والأخرى سيَّارة إسعاف، عبر الطريق حتَّى

باب الشركة الرئيسي، حاول أن يعبر لكن أحدهم قال:

- ممنوع يا فندم.

نظر باحتقار ثم دَفع يده وهو يقول بصوتٍ عالٍ:

- في إيه أنا رئيس مجلس إدارة الشركة والمالك!!

تفرس الواقف على الباب في وَجْه رشيد لثوان:

- طيب اتفضل أكمل بيه مستنيك.

فكَّر رشيد أن القادم يكون أسوأ عندما سمع قلة تتحدث عن جريمة قتل، لكنه لَمْ يتوقع أن تكون جريمة قتل داخل شركته، بل على كرسي مكتبه! وأنَّه لن يبلغ يومًا آخر حتَّى يكون هو المقتول. حمزة هو أول اسم خطر على بال رشيد، فمحرم على الجميع دخول المكتب إلَّا هو، كما أنَّه هو ذراع رشيد والمعاون والعارف بكل شيء عنه. مرَّ رشيد من الممر حتَّى المكتب بجوار أكمل سعيد الذي بادله حوارا خفيفا لا يرتقي للتحقيق. وعندما وقف عند باب المكتب سمح لرشيد أن يلقي نظرة على موقع الحادث من بعيد. فرأى نهر دماء لزجة تقع من على الكرسي وبقع أخرى كثيرة جدًّا على الأرض، بينما جثة حمزة بامتداد الأرض وعليها قطعة قماش بيضاء تسترها، وكان من الواضح أن رأس حمزة مفصولة عن الجسد:

– اللي قتل حمزة دبحه وشال راسه من جسمه.

التفت رشيد بحركة خاطفة عند سماع حديث أكمل سعيد، ثم اتسعت عيني رشيد تدريجيًّا، بينما أردف أكمل:

– أنا عارف إن أكيد ليك أعداء.. بس مش فاهم أنت مش عايز تساعدنا ليه..

– أنا لو عارف كنت ريحت دماغي..

حقيقة لَمْ يعرف رشيد من الفاعل هذه المرة، إلا لو لَمْ يكن شبح حسَّان قد ظهر وبدأ يستكمل لعبته!

– حضرتك بتؤمن بالأشباح والحاجات دي؟

نظر أكمل سعيد بغرابة:

– تقصد تقول إيه؟

حملق رشيد في الفراغ وهو يتمتم كأنه يقص لصديق همّه:

– أصل أن طلعلي شبح شاهيناز.

ابتسم أكمل بسخرية:

– أنت شكلك تعبان شوية.. خليك تحت استريح لغاية ما أجيلك ونكمل كلامنا.

وقبل أن يذهب رشيد قال أكمل:

- على فكرة جثة حمزة كانت عليها ورقة مكتوب فيها (Who's next?).

صعق وتسمَّر في مكانه، التفت رشيد وهو يهمس في سرَّه:

- حسَّان!!

ثم نطق بصوت مرتفع:

- إزاي!!

اسْتَغْرَب أكمل:

- إزاي إيه؟!

بعد ثوان من التفكير عاد رشيد يقول بعد ملل من الحديث:

- لا يا فندم مفيش..

ثم تلعثم هو يوضح:

- أنا مرهق شوية.. هنزل أشرب أي حاجة تهدي أعصابي تحت.

اكتفى أكمل بهزِّ رأسه موافقًا وهو يتابعه.

***

بعد نصف ساعة.

في جزء مخصص لراحة العاملين مزود بكافتريا جلس رشيد يدخن لِفافة غليظة طَويْلة من التَّبغ وينفث دُخانها بارتباك في الهواء. تقدم نادل في زيّ قرمزي:

– فنجان القهوة السادة يا رشيد بيه.

أمسك رشيد حامل فنجان القهوة وباليد الأخرى قبض على الفنجان، ثم مصَّه بشفتيه مبالغًا في ذلك.. وكأنه مدمن يتعاطى جرعة مخدر لَمْ يَذقه منذ فترة، ثم شغلِ باله بعدد المرات التي قُتل فيها حسَّان، وتجاهل أمر النّادل الذي لَمْ يغادر:

– تؤمرني بحاجة ثانية؟

قالها فنظر للنَادل في شرود:

– رشيد بيه..

أدرك رشيد أنَّه يحدثه، فأجاب بعين بدا عليها الإرهاق:

– أنا مش خدت منك القهوة؟

أجاب النادل:

– أيوه.

تأفف رشيد وهو يكمل:

- هعوز منك إيه تاني..!

تراجع النادل وهو يخفض رأسه ويقول بارتباك قد بدا عليه:

- متأسف يا بيه.. مقصدش حاجة أنا بس حبيت أكون تحت أمرك لو محتاجني في حاجة.

ورَحل قبل أن يثير سخط رشيد الذي عاد سريعًا لمَّا كان يشغل تفكيره. وتذكر أن في البداية، ورغم قسم حمزة بقتل حسَّان تحت إشرافه، كان يقول ربّما حدث شيء أو أخفى حمزة هروب حسَّان حتَّى يفلت من الجزاء، لكن تلك المرة الأمر مستحيل. فهذه المرة فجر رشيد رأس حسَّان بنفسه، كمّا أنَّه تأكد من دفنه بواسطة جواسيسه. فكيف ظهر هذه المرة؟! وخطر لباله أن الأمر لا يستبعد أن يكون شبح حسَّان يُطارد ويقتل أولَمْ شبح شاهيناز وهو يعزف الموسيقى!

لَمْ يكمل رشيد السِّيجارة، طمسها في منفضلة تمتلئ بأعقاب ورَماد السَّجائر، وانسحبت روحه كما تبدَّدَّ آخر خيط من دخان السيجارة، اتكأ رشيد بظهره على مسند الظهر للأريكة، وأطلق زفيرًا ينم عن ضيق، وظهرت أعراض الزلة وما يتبعها من إحساس بالتعب وضيق عند التنفس.

جلس أكمل سعيد بجوار رشيد عندما وصل إلى الأريكة، ثم أخرج علبة سجائر وضعها أمامه وقال بهدوء:

- تدخن؟

رفض رشيد:

- لسه طافيها.

لثم أكمل سيجارة انتقاها من العلبة، وأخرج قداحة شتت صوت اشتعالها ذهن رشيد:

- عندك مسدس؟

ركز رشيد نظرة على وَجْه أكمل الغارق بالدخان عندما سمع السؤال:

- لا.

اكتفى رشيد بالنفي دون التعليل:

- متفهمش غلط..

واستكمل وهو يدعي القول:

- أنا أصلي شايف إنك الفترة دي مستهدف فقولت أسألــ..

قطع رشيد باقي جملته:

– وأنا جاوبتك.

– تمام.. تقدر تتفضل وأكيد هنحتاجك.

– تمام.

قالها وقام، ثم مضى.

***

نَزل رشيد إلى السيَّارة، عزم على الذهاب إلا الفيلا لكن أذان أول مغرب في رمضان قد أوشك على الرَفع. وكان الوقت وقت صيام والطقس حار جدًّا، لَمْ يكن أمر الصيام بالنسبة إلى رشيد من الفروض الواجب أن يعمل بها، بل كان غوغائي الطبع، طوال فترات حياته، يصوم يوم، والآخر لا، كما أنه لا يستحي أن يأكل أو يشرب أمام موظفي الشركة الذين ينظرون له نظرة الكافر القادم من بني قريش، فطول الوقت أمامهم يكمن بين إصبعيه سيجارة في نهار رمضان، أو كوب مياه ينزل في جوه دفعة واحدة كما لو أنَّه يشرب كأس خمر أمام الجميع. في الغالب، وقت الصلاة، خاصةً في رمضان، يذهب الجميع إلى مسجد مجاور للشركة، ولَمْ يمانع رشيد لكنه في نفس الوقت لا يؤدي فريضة واحدة في المسجد.. ولا حتى في أيَّ مكان.

كان الشارع خاليًا من الزحمة مِمَّا ساعد رشيد للتوجَّه إلى مطعم

أسماك على مقربة من الشركة في مول كبير. أدار السيَّارة بعدما استقر على المطعم الذي سيتناول فيه وجبه الإفطار. في الطريق ألقى النَّاس حبوب تمر من نافذة السيَّارة المفتوحة كادت تفقع عينيه، وآخر اقتحمت يديه السيَّارة ووضع علبة عصير داخلها، والآخر قبل أن يأتي ليضع شيئًا أغلق رشيد زجاج النافذة.

قبل دقائق من رَفع الأذان وصل إلى المطعم المحدد ذي واجهة مركب صيد الأسماك، ووجد باب المطعم الشَّبيه بفم سمكة القرش يفتح كفك السمكة عندما تفتح فمها للهجوم على الفريسة. دَخل وجلس على أقرب طاولة في ركن هادئ. ثوان وكان نادل يحمل ورقة وقلم ويقترب منه:

- تؤمر بإيه يا فندم؟

وقف النادل أمام رشيد يأخذ الطلب قبل أن يغيب عن ناظريه، دقيقة أخرى وتوقَّفت الموسيقى في المكان عندما أذن أذان المغرب.

وخلال ربع ساعة انتهى رشيد من الأكل وعاد إلى الفيلا، تأكد من وجود الحرس عند البواب ثم دَخل.

***

بعد ساعة ونصف..

في ركن الحجرة يقف أكمل سعيد أمام نافذة تطل على السَّاحة الواسعة لقسم الشُّرطة، وينتشر جنود الأمن في كل ركن في السَّاحة بطول امتداد المبني الذي يأخذ شكلًا قديما كأنه سَجيَّتُهُ التي جُبِل عليْهَا. عمدان خشبيَّة تستند عليها مظلات تنحدر بميل وتظلل ممر الدور العُلويِّ الذي يحتوي بدورَه على غرف كثيرة.

في إحدى الغرف يقف أكمل سعيد بجوار النافذة، يشعل سيجارة كانت الأولى بعد الإفطار وينفث دخانها أمام عينيه التي أصابها الإجهاد والاحتقان.

وينتظر فنجان قهوة يرد جزءا من عافيته ويزيح الصداع الذي ضرب رأسه.

أسند رأسه على يديه الشمال وأخذ يفكر في سر اختفاء الأدلة حتَّى الآن، ومرَّر عينيه على الأدلة وبدأ يضع احتمالات كثيرة، منها أن التستر جاء من رشيد على القاتل أو ربما يكون رشيد القاتل.

شتت انتباه أكمل الدق الصادر من الباب، ظن أنه الساعي ومعه فنجان القهوة:

– خش.

دَخل المعاون على عجلة من أمره، يمسك ملفا أخضر يحمل بين طياته رزمة أوراق:

- في جديد!؟

- الأخبار النهارده كويسه وكدا مفيش شك بعد اللي مكتوب في التقرير دا يا فندم.

قالها ووضع التقرير على المكتب، فأشار أكمل بيده أن يجلس وهو يقول:

- اقعد طيب.

وراء المعاون دَخل الساعي إلى المكتب بعد أن أذن له أكمل، وضع الفنجان أمامه، ثم نظر أكمل للمعاون وقال:

- تشرب إيه؟

- ولا أي حاجة متشكر يا أكمل بيه.

نظر أكمل للساعي:

- شكرًا يا منصور.. اتفضل أنت.

قالها ففر منصور من أمام المكتب، وقبل أن يتخطى الباب قال أكمل:

- خد الباب وراك يا منصور.

ثم نظر للمعاون وأردف:

- ها إيه الجديد؟

- دا تقرير الطب الشرعي.. ملقاش أي بصمات لحد مشتبه فيه في جريمة قتل طه وحسَّان.

خطف أكمل الحديث:

- يبقا كدا حسَّان اللي قتل الدكتور طه - باعتبار إن الدكتور طه كان مربوط - وحسَّان ميت بطلقة..

- بالضبط يا فندم.

- بس بطلقة مين؟

- طلقة رشيد.

شدَّت الجملة انتباه أكمل الذي قال:

- مال رشيد بالموضوع!

- في سي دي في الملف ده وكان فيه حاجة غريبة.

- إيه هي؟

- كاميرا مدخل العيادة صورت رشيد لحظة خروجه..

- ولحظة دخوله؟

- كان النور قاطع.

- طيب صورته وهو بيقتل؟

- مش بشكل مباشر.

- وضح!

أخرج المعاون فلاشة صغيرة الحجم تحوي نسخة من فيديو الحادث، فتح جهاز الحاسوب المحمول - Laptop الموضوع على المكتب ووضعها فيه، وعثر على الملف المدرج بِه الفيديو وضغط عليه.

مرَّت دقائق الفيديو الثلاثة في صمت تام، دون أن يلاحظ أكمل أيَّ شيء، فيما التزم المعاون الصَّمت هو الآخر ليكتشف أكمل من تلقاء نفسه. وفي آخر ثواني الفيديو خرج رشيد من باب العيادة فظهرت صورته، فقال أكمل:

- الفيديو مش مبين رشيد وهو بيقتل.. هو دليل قوي بس مفيش أي زاوية تأكد إن رشيد قتل!!

- هرجع من الأول وحاول تركز تاني يا أكمل باشا.

نظر للمعاون، ثم قال:

- طيب..

أعاد المعاون فتح الفيديو فمرَّت أول دقيقة ونصف دون أن

يكتشف أكمل شيئا، وقبل أن يخرج رشيد من باب العيادة بثوان في الفيديو، ضغط أكمل على إيقاف الفيديو وأشار على انعكاس مرأة كانت في مدخل العيادة تظهر رشيد من الخلف وهو يوجِّه فوهة المسدس ويطلق على حسَّان الذي افترش الأرْض:

- كاميرا العيادة كانت في المدخل.. المدخل فيه مراية قدام باب العيادة بالظبط اللي كان مفتوح فالكاميرا صـــ..

قال المعاون فاستكمل أكمل باقي الجملة:

- فالكاميرا صورت المراية اللي كان فيها انعكاس الباب اللي قدامها ورشيد بيقتل طه.

- بالظبط يا فندم.. الكاميرا جابت انعكاس المراية لظهر رشيد وهو وواقف وموجَّه مسدس في وش حد.. وجابته وهو خارج عادي من باب العيادة.

- مسدس!!

قالها أكمل باندهاش ثم أردف:

- هو مش نفي أنه يكون معاه مسدس وقال إنه الحرس هما اللي بيحموه ومترخص لهم مسدساتهم!

- بالظبط يا فندم.

تلقى أكمل كلمات المعاون فتطاير الشرر من عينيه، وركز بصره على الفيديو الذي أعاد تشغيله، فظهرت صورة رشيد وهو يخرج من باب العيادة إلى المدخل حتَّى اختفى.

– طيب إيه سر وجود حسَّان وقتله للدكتور طه؟

قالها أكمل فردَّ المعاون:

– مفيش غير الانتقام.

– طيب وجود رشيد في المكان!

– دا السر.

سكت المعاون للحظات قبل أن يعاود قائلًا:

– بس الأغرب وجود رسالة من الدكتور طه لرشيد بتثبت إن رشيد كان في المكان ووقت الجريمة عكس ما نفى.

– مضمون الرسالة إيه؟

قالها أكمل وبدأ في فتح التقارير والأدلة بينما قال المعاون نص الرسالة:

– ((مستنيك دلوقتي في عنوان العيادة، لو مش فاكره فهو (.....).. مستنيك في أمر ضروري. دكتور طه)).

- يا ابن الحرام..

مرَّر أكمل عينيه على الأورق فقرأ تحليل الخط وقال:

- وبالنسبة لتطابق الخط؟

- النتيجة غريبة ومعقدة جدًا.

توقَّف أكمل عن القراءة ونظر إلى المعاون الذي أردف:

- فاكر الحادثة اللي اتمثل بجثتها في الصحراء واتقطعت.. حادثة عصفور.

- الواد السوابق؟

- بالظبط.

- مالها الحادثة؟

- الورقة الأولى كانت بخط حسَّان اللي تطابق بشكل كبير مع نفس الخط اللي كتبه على الورقة اللي مكتوبة على جثة الدكتور طه.. فأصبح إن حسَّان قتل عصفور والدكتور طه.. ورشيد اتخلص من حسَّان..

- وطبعا لما نواجه رشيد بالكلام ده هيقول كنت بدافع عن نفسي.

- بالظبط لكن لما يقتل مراته هيكون بردو يدافع عن نفسه!

اندهش أكمل وقال:

- تقصد إن خط الورقة اللي كانت على جثة شاهيناز لرشيد؟

حرك المعاون رأسه دلالة بالإيجاب وأكد:

- أيوه يا فندم.

- والورقة اللي كانت على جثة حمزة؟

- لا حظ حسَّان ولا خط رشيد.

- أحيه!!

خرجت من فم أكمل ثم سأل:

- أمال خط مين؟

- لغاية دلوقتي منعرفش.. الخط مش متطابق مع الخطوط اللي معانا.

ضيَّق أكمل عينيه ناظرًا للفراغ، وقال:

- يعني كدا عندنا تلات خطوط.. اتنين نعرفهم والتالت لا.

- بالظبط.

- يعني في شخص مجهول.

حرك المعاون رأسه مؤكدًا.

- يلا حالا..

قام أكمل من الكرسي ووضع المسدس في الجراب، فقال المعاون:

- على فين؟!

- فيلا رشيد.

***

كانت رائحة الخوف تفوح من رشيد خصوصًا بعد ظهور شبح شاهيناز قبل ذلك، وقرر أن يختفي عن الأعين ويذهب إلى الساحل الشمالي حتَّى تهدأ الأوضاع قليلًا خاصة أنه تأكد بعد تلك الحادثة أن الشُّرطة سوف تضع الشكوك حوله، ويصفي ذهنه من الهلاوس التي يتعرض لها.. هو يؤكد لنفسه أن ظهور شبح شاهيناز ربما من محض خيال رغم أنه بالفعل بدأ قبل ذلك بقليل أن يسمع أصوات أشياء في غرفتها قبل أن تظهر له، لكن في كل مرة يكذب سمعه، ويحاول أن ينشغل بشيء آخر. لكن التخيَّل يلعب دوره ويجعله يفكر مرة تلو الأخرى في ظهورها.

كان يجلس رشيد في المكتب، يحاول أن يسترخي رغم ما يفكر

بِهِ. يستعمل جرامافون نحاسيا عتيقا قد ولع بِهِ لعشقه للتحف القديمة والنادرة، أخذه في أحد المزادات التي كان يحضرها. كان الجرامافون يصدر مقطوعة موسيقية، ويشعل شمعة موضوعة في شمعدان تشع ضوءًا خفيفا جدًّا بجوار باب المكتب الجرار.

غفل رشيد قليلًا، أزاح أوراقا من على المكتب ونام على الجزء الخالي، وطار في أحلامه، كان كابوسًا يحاول أن يستيقظ منه، أصيب بحالة الجاثوم؛ فشلت أطرافه ولَمْ يقدر على الحركة رغم شعوره أنه مستيقظ. حلم أنَّ أحدهم يعبر من الباب دون تدخل من الحراس ولا البوابة، ظن أنهم تواطئوا معه، وأقسم بجلدهم إن عاش، لكنه اكتشف أنَّهم نائمون أو خدرهم أحد.

دَخل الشَّخْص الفيلا بكل ثقة، يترجل على مهل، ويتابع حوائط وهيكل الفيلا كأنه مشترٍ لها، ثم توجَّه إلى المكتب. شعر رشيد أنه يقف أمامه، وفي حالة شَلل النوم ظل رشيد يحاول الصُراخ دون فائدة، وفجأة هلع رشيد على صوت باب المكتب الجرار بينما شخص يمسك ضلفتي الباب ويلحم كل جزء بالآخر ليغلق الباب الذي أحدث صريرًا عاليا جدًّا.

أصبح الحُلم حقيقة!

تحسس رشيد جسده ليتأكد أنه الآن لا يحلم، اتسعت عيناه على

الشخص الذي وقف لثوان مواليًا ظهره للمكتب بعدما أغلق باب المكتب. خفوت الضوء لَمْ يسمح لرشيد أن يكتشف هوية الشخص ولا شكله إلا أن ضوء الشمع ضرب رأسه الحليقة ورسم ظلا بالطول ممدود على الأرض:

- ما تقلقش..

قالها الشَّخص، فوقف رشيد وسأل:

- حسَّان؟

- تفتكر! مش يمكن شبحه؟

- آخرتي على إيدك؟

- اتأكدت خلاص أني حسَّان؟

بلع رشيد لسانه من الخوف:

- عرفت منين طيب؟

- نفس صلعتك.

انفجر ضاحكًا وهو يقول:

- بتهزر وأنت على مشارف الصراط؟

ضَمَّ رشيد الشَّفَتين، وغلظ الصَّوت:

- مش هخطي عليه خطوة إلا وأنت معايا!

قال جملته ثم ضغط على زر جرس إنذار تم توصيله بالخارج فلم يستجب الحراس:

- محدش هيسمعك.. متحرمنيش من النقاش معاك.. وخلينا نكمل كلامنا.

اقترب من المكتب وهو يقول:

- تفتكر أهل الجنة هيستقبلونا؟

- لا.

- هنقع في جهنم!

- عدل!

- كلام منطقي.. كلمة عدل دي دلالة إنك بتؤمن بالعدل.. بس للأسف مش بتطبقه.. فاعذرني أنا لازم أسترجع حاجة.

- أنت مموتش إزاي؟

- عدل.

- لو عدل فحمزة وكل اللي ماتوا ليهم محاولة ثانية!

عاد رشيد وهو يضرب زر جرس الإنذار بعنف:

- قولت محدش هيسمعك

***

قبل ساعات..

قبل رَفع أذان المغرب..

حر صيف رمضان على الحُراس الواقفين. كان الوقت قرب المغرب، دقائق على رَفع الأذان. توقَّفتْ سيَّارة على بُعد ثلاثمائة مترٍ من الفيلا، يجلس داخل السَّيَّارة شخص يدقق النَّظر في حركة الحُراس، ويفتح كارتونة عصير كبير، ثم دبَّ سرينجة محتواها مخدر أفرغها في علب العصير كُلَّها قبل أن ينزل من السيَّارة. حين اقترب منِ الفيلا قد حان موعد أذان المغرب فبدأ يوزع علب العصائر على الحُراس الذين تناولوها على مهل ليخفف ظمأهم.

***

توقَّفت سيَّارات الشرطة في صفٍ أمام الفيلا، غير سيَّارة أخرى صغيرة نزل منها أكمل وتحرك تجاهً البوابة، يدقق النظر على منظر الحراس وهم مفترشو الأرض، اقترب من واحد وعدل وضعية جسده ليستكشف سبب تلك الحالة فلم يجد أي آثار لشيء:

- عربية إسعاف بسرعة يا بني.

أمر أحدهم قبل أن يأمر الجنود بسرعة الاقتحام، نزل الجنود ودخلوا الفيلا، تتبعهم أكمل حتَّى الداخل، كان السكون يسود، رياح خفيفة تضرب المكان من حين لآخر تجعل الستائر تحلق، كما أن جميع الغرف كانت من الخارج مظلمة إلَّا غرفة واحدة مضاءة، نظر إليها أكمل للحظات قبل أن يسرع مع ثلاث جنود إلى تلك الغرفة، وعندما وصلوا وقفوا مشهرين أسلحتهم استعدادًا للهجوم، دفع أكمل الباب وهو يلوح بالمسدس في جميع أركان الغرفة، فلم يجد أحدا غير جثة رشيد غارقة في الدماء وفوقها ورقة مكتوب عليها (The Last).

ملأ الغضب وجْه أكمل عندما شاهد الجثة، مرَّر عينيه على المكان وتفحص الجثة من مسافة مناسبة، تحرك ناحية النافذة ونظر من خلالها، وضيِّق عينيه عندما لمح شخصًا يشبه حسَّان يختفي بين الظلام، وضع المسدس في جيبه ونزل حتى السيَّارة التي أخذها وأسرع خلفه.

***

كان ضوء المصابيح في المقابر شحيحا، مواء وعواء في الأرجاء، وأرواح تحاسب داخل القبور، وممر طويل ينتهي على حوش مقبرة حديثة العهد، عيدان زهور على سطح القبور، وقواعد صبار تشبه

الصواريخ. مرَّ في الطريق حتَّى وصل إلى مقبرة حسَّان، اهتز الدمع في عينيه عندما وقف أمامها:

- أنت مين؟

جاء الصَّوت من أقصى الممَّر، كان الصَّوت لأكمل، وقف ووجه المسدس في وَجهُهُ:

- يمكن أكون حسَّان؟

- بطل لف ودوران.. مش ناقصة شغل هطل على المسا!

قالها أكمل قبل أن يصمت لثوان ثم يعود قائلًا:

- قدامي!

وأشار بالمسدس فرد الآخر وهو ينظر بتحدٍ:

- لا.

عمَّر أكمل المسدس دلالة على التهديد، فقال الآخر:

- اضرب واحد ميت يلا.. وهتلاقي الرصاصة بتخترق جسمي زي أفلام الرعب بالظبط..

ضحك ثم قال:

- أشباح بقا يا باشا!

اقترب أكمل فكاد أن يجن، كان الشكل مطابقًا لحسَّان:

– أنت مين يا بني أنت أخ ليهم تالت وتوءم بردو!!

– برافو عليك يا باشا.. ما شاء الله عليك نبيه وعرفت إن حسَّان له توءم.

– مش دي اللي هتغيب عني يا روح أمك.. بس أنت مين؟

– ما أنت لسه قايل يا باشا توءم حسَّان؟

– إزاي وهو بردو ميت؟!!

– دي فزورة بقا.

– هنهزر يلا!!

– يا باشا من غير ما تتعصب إحنا في مكان له حرمته.

– ولاا.. اتضبط عشان مفرغش الخزنة دي في جتتك.

فتح القميص:

– يلا يا باشا.. فرغ!

اشتدَّ غضب أكمل، فقال:

– هنفضل نلعب مع بعض ولا إيه؟

- منا طول الوقت اللي فات ده كنت بلعب بيكم هتفرق يعني لما نكمل الجيم.

- لآخر مرة بقولهالك.. أنت مين؟

- توءم حسَّان.

- أخ توءم تالت؟ غير حسَّان اللي داخل المشرحة على إيدي وشهادة وفاة مسعود بسبب الحرق اللي بردو كانت في إيدي.

- بلها يا باشا دي وعارف هتشرب إيه؟

- هشرب دمك يا روح أمك.

قالها أكمل ثم أطلق رصاصة أصابت الذِراع:

- الجاية هتكون في دماغك.. أنت مين؟

- مسعود ناصر السيد يا باشا.. مسعود بشحمه ولحمه.. تقريبًا كدا عرفتني؟

- إزاي؟

- كانت فرصة إني أستغل جثة واحد متفحم إنه يطلعله شهادة وفاة.. خصوصا إني كان لازم أجيب حق أخويا حسَّان اللي وصاني إني أجيب حقه بعد ما حكالي كل اللي حصله.

صمت مسعود ثم استفاض في الحديث:

- وكانت فرصة لما لقيت جثة متفحمة طلع عن طريقها شهادة وفاة.. بالاتفاق مع أهلي خليتك متفكرش فيا.. ولا رشيد بيه الله يرحمه يفكر فيا.. أنا كنت عارف إن مش هيغيب عنك إني موجود وبكمل مسيرة حسَّان.. خصوصا إننا identical twins فقولت أخرج نفسي برة الصورة لأن أكيد الباشا هيفكر إني توءم وحسَّان مقتول قدامه ومفيش غيري أنا اللي هكون في الصورة وشبه حسَّان.. فاختفيت.

وقف أكمل مذهولًا، اتسعت عيناه ولم يستوعب ما يحدث، فيما ركع مسعود وهو يضع وردة أسفل قطعة رخامية مكتوب عليها:

بسم الله الرحمن الرحيم

كل نفس ذائقة الموت

صدق الله العظيم

مدفن المرحوم: حسَّان ناصر السيد

ثم مضى تحت أعين أكمل المستسلمة ويديه التي تركت المسدس بلا هدف.

الفصل الثالث عشر

قسم شرطة بولاق الدكرور.

حملت أنف عسكري، ينتصب واقفًا على الباب وهو يلوح بالتحية العسكرية عِطرا فائحا مُنتشرا على قميص تحت معطف أسود فاحِم يَحجب طرف كمُّه ساعة ذهبية عندما مَرَّ علاء عابد رئيس مباحث بولاق الدكرور مِن المَّمر حتى المكتب، جلس على كرسي يدور مصنوع مِن الجلد أَمام مكتب أنيق تقبع فوقه قطعة رُخامية نُحت عليها اسمه. ومن وقت لآخر ينتفخ أنفه الدقيق ليجذب هواءٍ يصرف عنه الضيق.

خلفه دلف المُلازم كريم عامر بطولة الفارع وعينيه الضيقة وجسده الهزيل المُنافي شكلًا لقبوله لكلية الشرطة ومن ثم تعيينه داخل المؤسسة. في الداخل هبَّت رشا زوجة المجني عليه من جلستها عندما دخل علاء عابد والملازم كريم عامر. كانت دقات قلبها عالية، يكاد يسمعها الحضارين من شدة الخفقان، يومين كاملين لَمْ تذق فيهما طعم نوم هنيء، ولا عرفت راحة بال مُريحة طوال سويعات الأيام السابقة.

- إزيك يا رشا؟

قالها علاء فردت رشا:

- بخير يا بيه.

- عرفتي أنت هنا ليه؟

مدَّت يديها لزجاجة مياه على طاولة بين كرسيين مُقابلين تجلس هي على واحدٍ منهم والملازم كريم عامر يجلس على الآخر، بللت ريقها بالمياه وهي تحاول تمَالك نفسها، ثم وضعت الزجاجة مكانها وقالت:

- طبعًا يا سعادة البيه.. جوزي ميت موتة مش طبيعية هكون موجودة فين يعني.

- إحنا في الحالات العادية بنسألك شوية أسئلة بس..

التفتت رشا ليستدرك كريم صاحب الصَّوت:

- بس للأسف شكلك هتطولي معانا شوية..

- ليه كفى الله الشر!

- إخوات المجني عليه يا ستي..

تيقظت آذان رشا:

- مقدمين فيكِ بلاغ.

ضربت صدرها بيديها:

- فيا أنا!!

لثم علاء سيجارة بين شفتيه وقال هو يشعلها بعود ثيقاب:

- متهمينك في قتله.

ضيَّق عينيه وأردف:

- إنك سممتيه..

اتسعت عيون رشا وبدأت الدموع تهطل:

- والله العظيم يا بيه ما حصـــ..

أخذ فم علاء شكل الحرف O وهو يطلق هواء ليطفئ عود الثقاب:

- الحلفان ملوش لازمة.. ومش هيثبت ولا ينفي موقفك.. فاهدي كدا نمت حبات عرق على جبينها:

- حاضر يا بيه.

- الفرق بينك وبينه كام سنة يا رشا؟

- أربعين سنة.

تضخم أنف علاء نتيجة افتعاله التأثر:

- مش كتير؟!

- هو كان بيعاملني كويس شهادة.

قاطعها الملازم كريم قائلًا بخبث وهو ينظر لها بطرف عينيه:

- طالما كدا اتخانقتي معاه قبلها بيوم ليه يا رشا؟

تنهدت وهي تقول:

- عادي يا بيه.. خناقة عادية بين أي اتنين متجوزين متوصلش إني...

بتر علاء حديثها:

- لا توصل إنك تقتليه... من أسبوع واحد بس اتحكم على واحدة بالمؤبد والسبب جوزها مرضيش يزود مصروف البيت.

أقبلت سحابة من الصَّمت على الجميع قطعها طرق على الباب فصاح علاء عاليًا:

- خش.

أُقبل ملازم آخر يحمل ملفًا ضخمًا ويضعه على مكتب علاء، أومأ برأسه بما يفيد الانصراف، وفتح الملف مُمرًا عينيه لدقائق نفذت

فيهما السِّيجارة فأشعل غيرها. رمى الملف على المكتب وقال:

- ظلمناكِ يا رشا.. تقرير الطب الشرعي قال إنه مماتش مسمم.

تهللت أسارير وجه رشا وصاحت:

- الله أكبر.. الحمد لله يا باشا.. ربنا نور العدل..

مَسحت دموعها بسترة تستر جزء مِن شعر رأسها وهي تردِّد:

- الحمد لله.. الحمد لله.

قاطع علاء حمدها:

- المهم يا رشا..

- معاك يا بيه..

- لفت نظري إن جوزك غريب من الحاجات الغريبة اللي موجودة في مكتبه

أسند علاء ذقنه على قبضة يده المُتشابكة واستكمل:

- كميات حليب مهولة المرحوم كان محتفظ بيها.. غير صور لنجوم سينما مشهورين زي (ف. ع)، (ح. ت)، (مأ ش)، غير الطلاسم والتعاويذ اللي مكتوبة على الصور التانية..

هزَّت رشا رأسها بينما أردف علاء:

- وبعدين جوزك طلع مشهور يا رشا.. دي الأجندة بتاعته كلها أرقام نجوم فن ورياضة ورجال أعمال وسياسيين.. ده طلع واصل أوي وسرَّه باتع بجد ولا إيه؟ دا مش مصريين بس، لا، وكمان خلايجة، يعني كان بيقبض بالريال والدرهم الله يرحمه.

لم تبدُ على رشا علامات تأثر تشي بنفي ما يقول رئيس المباحث، ظلت تستمع وتومئ مؤكدة على ما يتم تداوله وما تم كتابته في المحضر:

- هو إيه اللي حصل بالظبط يا رشا يوم الواقعة؟

سحبت رشا نفسًا ملأ رئتيها عن آخرها، وحاولت استعادة ما حدث يوم وفاته فقالت:

- حاولت أخش المكتب لقيته مقفول.. مشكتش في حاجة خصوصًا إنه ساعات كان بيقفل على نفسه ويعتزل.. بعد فترة رجعت تاني أخبط... وأنادي عليه وهو ميردش.. معرفتش أتصرف ساعتها.

مَسحت رشا ملامح الملازم ورئيس المباحث وهي تتحدث:

- اتصلت بإخواته عشان ييجوا يشوفوا هنعمل إيه.

قاطعها علاء:

- يعني ساعة الحادث الباب كان مقفول عليه؟

- أيوه يا بيه.

- كملي..

إخواته جم كسروا الباب ولقوه بالحالة اللي شوفتوه فيها دي.. فاتصلوا بالبوليس.

تنهدت رشا وتحدثت وسط نحيبها ودموعها:

- يا بيه اللي المفروض تتهموهم بالقتل اللي قالوا عليه سميته.. همَا دول اللي كانوا عايزين يطلقوني منه وحاولوا كتير.

خطف الملازم كريم الكلام:

- ليه؟!

ابتسمت بسخرية وقالت:

- طمعانين فيه..

ضحك علاء قائلًا:

- طيب يا رشا اتفضلي أنت دلوقتي..

- شكرًا يا سعادة البيه.

- اعملي حسابك ممكن نحتاجك تاني.

- تحت أمرك يا بيه.

مدَّت رشا من خطواتها السريعة حتى خرجت من المكتب كأنها تغادر منزلًا مسكونًا، بينما ألصق علاء ظهره بالكرسي وهو يخرج ضيقا على هيئة زفير، دار عقله كثيرًا وهو يُغمض عينيه كيلا يفتك صداع التفكير بهِ، فحتى الآن لَمْ يتمكن من حل لغز هذه القضية المُحيَّرة.

- تقرير الطب الشرعي فيه إيه يا باشا؟!

قالها كريم فلم ينتبه علاء الشارد:

- علاء بيه.. علاء بيه!!

انتبه علاء كأنه مُسَّ بواسطة صعقة كهربائية بسيطة:

- إيه يا كريم؟

- التقرير فيه إيه؟

- ولا أي حاجة.

تغضَّنَ وجه كريم:

- إزاي؟!

- زي ما بقولك كدا.. مفيش أي حاجة.. غير هبوط حاد في

الدورة الدموية.

أنهى علاء كلماته ثم سلَّم التقرير لكريم الذي تفحصه:

– وده مش معناه غير حاجة واحدة؟

ركز علاء جيدًا فأردف كريم:

– إنه يكون شاف حاجة خليته يتخضّ ووشه يتكرمش وعليه علامات الفزع دي وعينيه مفنجلة كدا وتخلي قلبه يقف.. حد كان بيهدده مثلا وقبل ما يقتله قلبه وقف مات على الحال ده..

نظر علاء في الفراغ وقال:

– أو يكون شاف حاجة غريبة.

– زي إيه؟

تريث وأغلق فاهه قبل أن يفتحه قائلًا:

– عندما ينقلب السَّحر على السَّاحر.

تم إغلاق قضية السيد الحسيني ضد مجهول لعدم توصل الشرطة لدليل واضح.

شكر خاص

هاجر ياسر

أحمد جمال

عمر أسامة

محمد مجدي

خالد محمود

رغداء عادل

أحمد سمير

محمد يسري

هاجر مجدي

سارة أحمد

صدر للكاتب:

- وهم سبق الرؤية - رواية
- شقة داوود - رواية
- ما وراء النفس والطبيعة

للتواصل مع الكاتب:

E-mail: Emadroushdy220@gmail.com

WWW.facebook.com/dodo231231